قراءة يعقــوب بن إسحاق الحضرمى من القراءات السبع إلى العشر

دراسة صوتيــــة صرفيــــة نحــوية

أ. د خليل عبد العال خليل

الأستاذ المساعد بقسم النحو والصرف والعروض

كلية دار العلــوم – جامعة القاهـرة

الفيــوم

الجزء الأول

المقدمة

تقديم :

استمر العمل في هذه الدراسة أكثر من سبع سنوات لجمع مادتها ، وتصنيفها ، وتوثيقها ، وتحريرها ، حتى استوت على سوقها ، لتصبح على ما هى عليه الان ٠

إنها دراسة صوتية صرفية نحوية لقراءة من القراءات العشر للقرآن الكريم ٠

إنها القراءة الثامنة – على الراجح – من قراءات القرآن إنها قراءة يعقوب بن إسحق الحضرمى ت ٢٠٥هـ ، حفيد عبد الله بن إسحق الحضرمى ٠

إن قراءة يعقوب الحضرمى – وبخاصة ما تفردبه منها – لم تكن موجودة قبل هذه الدراسة في بحث خاص ، بل كانت قراءته موجودة في كتب القراءات ، والمعاني والإعراب ، والتفسير مع غيرها من قراءات القرآن الكريم الأخرى ٠

وعلى هذا فقد قمت بجمع قراءة يعقوب من كتب القراءات القرآنية القديمة ، والمتأخرة والحديثة ٠

وكانت مصادري لجمع قراءة يعقوب الحضرمى كل الكتب المهتمة بقراءات القرآن العشرة والأربعة عشر وما فوقها مثل كتاب : " الكامل في القراءات الخمسين للهذلى " ، والنشر في القراءات العشر لابن الجزرى ٠

ومعجم القراءات القرآنية للأستاذين الكبيرين أ٠د٠ أحمد مختار عمر و أ٠د٠ عبد العال سالم مكرم ، وغيث النفع ، والمحتسب ، والاتحاف ٠ ثم كتب

المعاني مثل : معاني الفراء ، ومعاني الأخفش ، ومعاني الزجاج ، ثم كتب الدراسات الأسلوبية للقرآن وعلى رأسها كتاب دراسات لأسلوب القرآن الكريم للشيخ عضيمة رحمه الله .

ثم كتب التفسير مثل تفسير الطبرى ، وتفسير البحر المحيط ، وتفسير القرطبي ، والألوسي ، الطبرسي ، والطوسي ، والخازن ، والفخر الرازي ، والنسفي ، والزمخشري ، وغيرها من الكتب المهتمة بالقراءات ، إعرابا وتوجيها ، ونسبة ، وتخريجا ، وتفسيرا .

ثم حاولت الاستفادة من مباحث الأقدمين النحوية والصرفية والصوتية في دراسة هذه القراءة ، وكذلك المباحث الحديثة في هذه المجالات الثلاثة : الأصوات ، والصرف ، والنحو مفيدا من كل ذلك في دراسة قراءة يعقوب الحضرمى وبخاصة ما تفرد به فيها مما رواه عنه راوياه المشهوران : رويس، وروح ، وأضفت إلى ذلك ما تفرد به راو واحد عن يعقوب ولم يشاركه أحد من القراء العشرة الآخرين أو واحد من من رواتهم المشهورين عنهم .

فجاءت هذه الدراسة في تمهيد وأربعة فصول وخاتمة :

١ - تكلمت فى التمهيد عن بعض أمور تتعلق بنشأة كل من علم القراءات ، وعلم النحو .

أوضحت فى نشأة علم القراءات أن الخوف على كتاب الله هو الذى كان وراء الأعمال العلمية التى قام بها المسلمون محافظة على كتاب الله ، بداية من القيام بكتابته عند نزوله على رسول الله ، ومرورا بحفظهم له ثم تسجيله فى صحف ، ثم وضعهُ فى مصحف واحد ، هو مصحف عثمان بن عفان - ض - وتحريق ما سوى هذا المصحف ، مع تلاوته بكل ما سمع أن رسول الله - ص - قرأ به ، ثم نهايةً بما قام به أبو بكر بن مجاهد من اختيار سبعة قراء فقط ، وإلزام الأمة بهم فى كتابه " السبعة " ، وذلك فى القرن الرابع الهجرى .

وأوضحت أن القراء الموثوق بهم ليسوا سبعة فقط بل هم أكثر من هذا بكثير ، ومن هؤلاء الكثيرين الذين كان يمكن أن يتسع لهم كتاب ابن مجاهد " يعقوب الحضرمى " ثم أوضحت فى نشأة علم النحو أن خوف المسلمين على كتاب الله من أن ينتشر لحن العامة والخاصة فيه هو الذى كان وراء نشأة علم النحو ، أو البذور الأولى لعلم النحو .

إلا أن هذا العلم ، علم النحو ، قد أصيب فى القرن الرابع الهجرى بشىء مما أصيب به علم القراءات ، حيث أغلق النحويون الباب أمام كل من يأتيهم بشاهد عمن ولد ومات بعد القرن الرابع الهجرى وكأنهم ضمنوا أن الناس لن يتكلموا إلا بما فى قواعدهم ، ناسين أن اللغة كائن حى متطور ، لذلك فهى فى حاجة إلى ربطها باستمرارٍ بقواعد مرنة ، غير معقدة .

ولما كانت قراءات القرآن معينة على هذا ، فكان من المهم دراستها ، والإفادة منها .

٢ - الفصل الأول - وكان عنوانه : يعقوب بن إسحق الحضرمى

ولقد أوضحت فى هذا الفصل اسم ونسب يعقوب مع إزالة ما نُقِل فيه من

تصحيف ، ثم رجّحتُ أن سنة ٢٠٥ هـ هي سنة وفاته وليس غيرها .

وأثبت أن يعقوب ليس عربيًا خالصًا ، وأنه مولى الحضرميين ، وأنه من بيت علم بالقراءات والنحو .

٣ - الفصل الثاني - وكان عنوانه : قراءة يعقوب الحضرمي

وفي هذا الفصل حاولت إثبات تواتر قراءة يعقوب وأن يعقوب الحضرمي له مكان بين القراء السبع ؛ لأنه لم يُجْرَح كما جُرِحَ غيرُه ، وأن العلماء نصوا على ثقته وأن إسناده من أعلى الأسانيد ...

وأوضحت أيضا شيوخ يعقوب الذين تأثر بهم ،وتلامذته الذين تأثروا به ونشروا قراءته ، مع ذكر لترجمة مناسبة لراوييه " رويس " و " روح " .

٤ - الفصل الثالث - وعنوانه : أثر قراءة يعقوب بن إسحٰق الحضرمي في الدراسات الصرفية

وقد درست في هذا الفصل كل ما له صلة بالموضوعات الصرفية - من قراءة يعقوب ، وقد رتبت موضوعات هذا الفصل مراعيا تقديم الموضوعات التي لها صلة بعلم الأصوات ثم تليها موضوعات علم الصرف مرتبة قريبا من موضوعات الألفية .

ولقد كان منهجي في دراسة ، ومناقشة هذه القضايا التي أثارتها قراءة يعقوب في كتب علمائنا من لدن سيبويه ، ألاَّ أحكم على أي نشاط لغوي موروث بالخطأ المطلق ، مشيرا إلى إمكانية الإفادة من هذا الموروث الصوتي أو الصرفي .

وحاولت أن أقوى الصلة بين قواعد الصرفيين ، وواقع لغتنا المنظورة عن طريق قراءة يعقوب الحضرمي التي جمعتها من كتب التراث متمثلة في كتاب / الكامل في القراءات للهذلي ، ومختصر البديع لابن خالويه ،والبحر المحيط لأبي حيان ، والنشر لابن الجزري ،بالإضافة إلى بقية كتب التفسير

المهتمة بعلم القراءات ، ثم إنى أفدت من كتب بعض المحدثين ، مثل الإتحاف للبنا الدمياطى، والموسوعة العظيمة " دراسات لأسلوب القرآن الكريم "، لأستاذنا الفاضل / محمد عبد الخالق عضيمة ، ومعجم القراءات القرآنية ، للاستاذين د/ عبد العال سالم مكرم ، وأحمد مختار عمر .

ولقد كانت هذه الكتب هى مصادرى فى الفصلين الثالث ، والرابع .

٥ ـ الفصل الرابع ـ وعنوانه : أثر قراءة يعقوب الحضرمى فى الدراسات النحوية .

وقد رتَّبْتُ موضوعات هذا الفصل مستفيداً من منهج كتاب " النحو المصفى " ذاكرًا موضوعات الجملة الاسمية ، ثم الجملة الفعلية ، ثم ما يتعلق بكل من هاتين الجملتين من موضوعات .

وكان سبب اختيارى لهذا الترتيب كثرة جزئيات الموضوعات التى أثارتها قراءة يعقوب ، بالإضافة إلى تناثر هذه الجزئيات فى كتب النحو القديمة ، ومنها المنسوب إلى قراءة يعقوب ، ومنها غير ذلك .

ولقد كان منهجى فى مناقشة الموضوعات النحوية التى أثارتها قراءة يعقوب فى الكتب القديمة والمتأخرة ، والمعاصرة مراعاة صالح اللغة ، أولا ، ثم تقديم القراءة على القاعدة النحوية ، وذلك لأمور كثيرة ، منها أن الثقة بالقراءات قائمة ، ومنها :

أن القراءات تمثل نشاطا لغويا موروثا مفيدا ، يمكن استعماله فى إنشاء قواعد حية ، أو فى إماتة قواعد جامدة غير مستعملة . مع بذلى الجهدَ المخلص فى التوفيق بين قراءة يعقوب وما خالفها من قواعد النحويين.

ـ الخاتمة والنتائج ، وفيها تخليص لكل ما جاء به هذا البحث .

وتكملة للفائدة فقد وضعت ضمن فهارس الرسالة ، فهرسا بقراءة يعقوب مرتبة على حسب سور القرآن الكريم .

وأسأل الله أن يلهمنى الصواب والحق فى بحثى هذا ، وأن يعيننى على تكملة السير فى طريق البحث الموضوعى والوصول إلى الحق والخير .. آمين ..

الباحث

التمهيد

في نشأة القراءات والنحو

تمهيـــــــد :

فى نشـــأة القراءات والنحـــــو :

إن بداية تكلم العربى بلغته تشبه بداية تكلم أى انسان آخر بلغتــه فى الخطوط العريضة التى تحيط بأى لغة فى بداياتها من ظروف اجتماعيـــــة واقتصادية ، وعقدية وذلك استجابة لضغوط الحياة وحاجياتها اليومية ، تلكم الحاجيات التى تستلزم لغة تيسر للناس التعامل فيما بينهم [١] .

بيد أن اللغة العربية تختلف وتتميز عن بقية اللغات الأخرى فـــى أن هذه اللغة تصالحت ظروف كثيرة فيما بينها لكى تجعل هذه اللغة لغـــــة شابة فتية ، مملوءة بالقوة التى ضمنت لها البقاء حتى اليوم لتصبح لغـــة الملايين ، على الرغم من أن أخواتها الساميات قد لف الزمن كثيرًا منهـــا وما بقى منها مستعملا فماضيه بعيد الصلة عن حاضره ، وهكذا الشـأن فـــى بقية اللغات الأخرى [٢] .

يقول العاملى : وأنا لا أرتاب فى أن اللغة التى حملها الفرنسيــــس أيام الحروب الصليبية إلى سوريا لم تكن كاللغة التى حملها أحفادهم لهـــا فى هذه الأيام ، وأن اللغة التى نظم بها شكسبير قصائده لا يفهمها العامـــى الإنجليزى اليوم ، أكثر مما يفهم العربى العامى قصائد المتنبى .... وأن لغة موليير الفرنسية فيما أحسب بعيدة عن لغة إميل زولا ولكن لغة المتنبـــى لم تتغير عن لغة شوقى !! [٣] .

على أن ارتباط اللغة العربية بالقرآن الكريم كان من العوامـــــل

---

١) على عبدالواحد وافى : اللغة والمجتمع . القاهرة : د ــ ن، ١٩٤١، ص ٧ .
٢) سمير نجيب اللبدى . أثر القرآن والقراءات فى النحو (الكويت ــ دار الكتب الثقافية ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨م ص ١٣ . وانظر دراسات فى فقه اللغة . صبحى الصالح ، دار العلم للملايين ــ بيروت ص ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ .
٣) العاملى : مولد اللغة ، بيروت ١٩٥٦م ، ص ٧٢ .

الأساسية التى ساعدت على قوة هذه اللغة وطول عمرها ، ولولا القرآن لما كان لهذه اللغة أى شأن ، ولما بقيت جذورها من الشعر العربى القديم ونثره حية إلى اليوم ، ولولاه لما وُجِدَتْ هذه الدراسات الواسعة حول اللغة العربية من جميع جوانبها .

يقول الرازى ت ٣٢٢ هـ " ولولا ما بالناس من الحاجة إلى معرفة لغة العرب والاستعانة بالشعر على العلم بغريب القرآن وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين ، والأئمة الماضية لبطل الشعر وانقرض ذكر الشعراء ، ولعفى الدهر على بقية آثارهم ونسى الناس أيامهم ." (١) وقد كان للقرآن الفضل الأول فى نشأة علم النحو كما سنرى وهو العلم الذى خدم اللغة خدمة جليلة، ولولا القرآن أيضا لما وُجِدَ علم القراءات القرآنية وهو العلم الذى من خيراته على اللغة أن حفظ لنا هذه المستويات اللغوية (٢) الكثيرة التى كانت منتشرة فى الجزيرة العربية وأطرافها ولأهمية هذين العلمين : علم القراءات وعلم النحو فإن البحث سيخصهما بحديث موجز عن نقاط تتعلق بكل منهما :

١ - المعنى الاصطلاحى لكل من علم النحو وعلم القراءات .

٢ - الموضوع الذى يبحثه كل منهما .

٣ - بداية نشأة كل منهما زمنيا .

٤ - تشابه ظروف نشأة كل منهما .

المعنى الاصطلاحى لعلم القراءات :

قال ابن الجزرى : القراءات : علم بكيفية أداء كلمات القرآن

---

١) أبو حاتم الرازى : الزينة فى الكلمات الإسلامية ، تحقيق حسين العمدانى (القاهرة د . ن ١٩٥٨) جـ ١ ، ص ١ .

٢) أ . د . محمد عيد : المستوى اللغوى للفصحى واللهجات وللنثر والشعر طبعة عالم الكتب ١٩٨١م ، ص ٢٧ - ٨٦ و ٨٧ - ٩٨ .

واختلافها معزوا لناقله " (١) أى أن هذا العلم يعين الناس على كيفية أداء كلمات القرآن أداء صحيحا ، كما نطقها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وذلك عن طريق السماع وليس فيه مجال للاجتهاد الشخصى حتى ولو بلغ المتخصص فى هذا العلم قدرة الإحاطة بكل جزئيات هذا العلم فليس له أن يقرأ القرآن أو حرفاً منه إلا بما أُثِر أن رسول الله " ص " قرأ به على هذا الوجه لأن القراءة سنة متبعة كما يقول زيد بن ثابت الأنصارى الصحابى وغيره ..(٢)

علم النحو اصطلاحا :

قال ابن جنى فى تعريف حد النحو ، هو انتحاء سمت كلام العرب فى تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير ، والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها فى الفصاحة ، فينطق بها وإن لم يكن منهم وإن شذ بعضهم عنها رُد به إليها .. (٣)

وليس مرادى أن أتتبع حدود علم النحو عند القدماء والمحدثين والخلاف بين هؤلاء وأولئك فإن هذا أمر استقصاه القدماء بقصد وبغير قصد، كما محصه ونقده المحدثون واختاروا من الحدود ما وافق منها علم اللغة الحديث قصدا ...

والذى يعنينى من هذا أن تعريف ابن الجزرى لعلم القراءات تلحظ فيه الكلمات الآتية : " علم بكيفية أداء كلمات القرآن " ..

---

١) ابن الجزرى : منجد المقرئين (القاهرة : مطبعة الوطنية الاسلامية ١٣٥٠ هـ ، ص٣) .

٢) السيوطى ، جلال الدين عبد الرحمن : الإتقان فى علوم القرآن (القاهرة، م الحلبى ١٩٥١م ، ط ١) ١/ ٧٥ .

٣) ابن جنى . أبو الفتح عثمان.الخصائص . القاهرة (دار الكتب)١/ ٣٤.

فإن المشتغل بهذا العلم ،علم القراءات يبرع أول ما يبرع في أداء كلمات القرآن " فهو أمر خاص بكلمات القرآن .

غير أن تعريف ابن جني لعلم النحو تلحظ فيه أن علم النحو يعين المشتغل به ، ومتعلمه على انتحاء سمت كلام العرب " قطعا.كما يفهم من كلام ابن جني سمت كلام العرب في كل جوانبه من إعراب وغيره وعلى هذا فإن علم النحو ليس له فائدة واحدة لمتعلمه ، أو المشتغل به بل إن فوائده عامة ومتعددة ، ولِمَ لا ؟ وقد علم المتقدمون والمتخصصون في شتى العلوم والفنون أنه لابد لهم من معرفة قدر ليس يسيراً من علم النحو وذلك ليتسنى لهم أن يملكوا ناصية علمهم الذي اتجهوا إليه ولا سبيل إلى ذلك إلا بعد تعلم النحو أو قواعد العربية (١) ، فعلم النحو مهم لمن أراد أن يشتغل بالقراءات ، أو لمن أراد أن يشتغل بالمحكم والمتشابه ، أو لمن أراد أن يعمل في التفسير أو في الفقه ، أو في أصوله أو في التوحيد أو أي علم من علوم القرآن وكذا لمن أراد أن يتعلم أو يتعامل مع أي علم من علوم اللغة .

وكلا العلمين يعيننا على النطق الصحيح للكلم ، فالقراءات لكلم القرآن والنحو لكلم العربية قرآنا وغير قرآن .

ولا يفوتني أن أذكر أنه لا يعني هذا أن علم القراءات أقل شأنا من علم النحو ، أو أن واحداً منهما يغني عن الآخر ، وإنما القصد فقط إظهارُ الترابط بين العلمين .

وإذا تعين حد كل من علم القراءات وعلم النحو فلابد من ذكر الموضوع الذي تجرد له كل منهما .

موضوع علم القراءات :

يُستفاد من حد علم القراءات السابق ذكرُه أن هذا العلم يبحث أصلا في كلام الله تعالى من جهة كيفية أدائه نطقا ، إذن فمادتُه القرآنُ ليس غير ويبحث علم القراءات في موضوعين من القرآن :

١) مناع القطان : مباحث في علوم القرآن . القاهرة - مكتبة وهبه ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١م ، ص ١٧٠ .

الأول : ما يسميه القراء "أصول القراءة" .

الثانى : ما اصطلح عليه "بفرش الحروف"(١) أو "فروع القراءة"،ومبحث الأصول يُعنى به الأحكام العامة التى تأخذ شكل قواعد تطرد فى عموم الكلمات القرآنية وَفق ورودها؛مثل:الإدغام،هاء الكناية ، المد والقصر الهمز ، أحكام النون الساكنة والتنوين،الفتح والإمالة وبين اللفظين، والوقف (٢) .

ومبحث الفروع أو فرش الحروف الخاص باختلاف القراء حول بعض الكلمات القرآنية من حيث إعرابُها أو تقديمها وتأخيرها أو حذفها وزيادتها أو غير ذلك ، كاختلاف القراء فى " وَلِبَاسُ التَّقْوَى "(٣) فقرأ نافع وابن عامر والكسائى بالنصب والباقون بالرفع وقرأ نافع برفع " خَالِصَةً " (٤) والباقون بنصبها (٥) .

موضوع علم النحو :

باختصار مفيد يمكن القول بأن موضوع علم النحو هو كلام العرب ويدخل فيه القرآن وهو كلام الله سبحانه وتعالى بلسان عربى مبين والكلام

١) على بن القاصح البغدادى : سراج القارئ المبتدئ وتذكار القارئ المنتهى . القاهرة : م. مصطفى البابى الحلبى وشركاه ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م ، ط ٣ ، ص ١٤ .

٢) النشر ٢٠٦/٢ . ٣) سورة الأعراف : ٢٦ .

٤) النشر ٢٠٦/٢ . البقرة : ٩٤ .

٥) أبو عمرو عثمان بن سعيد الدانى : التيسير . عنى بتصحيحه اوتويرزل استانبول : م الدولة ١٩٣٠ م ، و ط : حيدر آباد الدكن (١٣١٦هـ)ص ١٠٩

العربى ، شعره ونثره .. وعلم النحو مهمته هو التعامل مع هذه المـــواد لكى يفع لها ومنها أحكاما على شكل قواعد تصلح لكل زمان ومكان حتـــى يلحق مَنْ ليس من أهل العربية بأهلها فى الفصاحة فينطق بها ، وإن لـــم يكن منهم ، وإن شذ بعضهم عنها ، رُدَّ به إليها .. "(١) .

نشـــأة القراءات :

هناك آراء مرجوحة ترى أن القراءات منشؤها اللهجاتُ أو اجتهـــاد من الصحابة ، ولذا فيدخلها القياس ، أو مصدرها ضعف الخط المتمثـــل فى عدم النقط الإعجامى أو الإعرابى، وكل هذه آراء نرفضها ولا نوافق عليها، ونرتضى رأيا واحداً فقط هو أن القراءات القرآنية الموثقة الثابـــت صدورها عن رسول الله " ص" منشؤها الوحى .. (٢)

ولإثبات هذه الحقيقة ـ حقيقة أن القراءات منشؤها الوحى فلابـــد من تتبع نشأة القراءات من بدء نزول الوحى وحتى القرن الرابع الهجـــرى على النحو التالى :

من بدء نزول الوحى حتى وفاة الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

اختار الله سبحانه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ... رســـولاً؛ ليبلغ رسالة الله إلى عباده فأنزل عليه القرآن الكريم منجمـــاً (٣) ، فحفظه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحفظه عنه أصحابه ، فهم عـــرب

---

١) الخصائص : ٣٤/١ .

٢) راجع هذه الآراء فى كثير من الكتب القديمة والمعاصرة متبوعة بـــرأى الثقاة الذين نقدوها وأقروا الرأى الذى نقلناه عنهم . انظر كتـــاب القراءات القرآنية تاريخ وتعريف ص ٧٩ – ٨٥ ، ومراجع هذه الصفحات وغيرها .

٣) النيسابورى : أبو الحسن على بن احمد الواحدى " أسباب النزول " عالم الكتب ، بيروت ، ص ٢ .

والقرآن عربى نزل بلسان عربى مبين ، واجتهد الصحابة فى حفظ القرآن من فِىّ رسول الله كما نزل ، ولما كان العرب قبائل مختلفة ، ولكل منها ظواهر لغوية تخالف الأخرى فإن رسول الله - تيسيراً على الأمة - كان يقرأ القرآن لكل قوم بلغتهم بوحى من ربه أو يقرأ لمجموعة من الصحابة القرآن بأداء قد لا يقرؤه لنفر آخرين ،. بوحى من ربه. فحفظ الصحابة عنه هذا وانتشر القرآن فى بيوت الصحابة بهذه الكيفية وبلغه الصحابة لمن تعلموا على أيديهم بهذه الكيفية وهكذا .. لكن فى هذه الفترة ينبغى تسجيل مظاهر الخوف على كتاب الله فيما يلى :

١ - كان رسول الله " ص " حريصا على حفظ ما ينزل به الوحى حتى فى لحظات نزوله فكان يحرك لسانه وشفتيه بما يسمعه ليحفظه فأنزل الله عليه " لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١) ، إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ "(٢).

أ - كان كثيرًا ما يشجع الصحابة ويزكيهم بحفظهم للقرآن كما يلاحظ فيما يأتى :

ورد أن رسول الله " ص " قال: أَقْرَؤُهُمْ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ (٣) .

ب - روى البخارى فى صحيحه أن رسول الله قال : خُذُوا الْقُرْآنَ من أَرْبَعَةٍ عَبْدِاللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِى حذيفة وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، وَأُبَىِّ بْنِ كَعْبٍ (٤) .

---

١) القيامة ١٦ ، ١٧ والحديث رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس ، انظر: القرطبى، ص: ٦٨٩٧ .

٢) القرطبى أبو عبدالله ، الجامع لأحكام القرآن ٦٨٩٧/١٠ تجليد خاص .

٣) الحافظ الذهبى: معرفة القراء الكبار (دم - دار التأليف) تحقيق محمد سيد جاد الحق ٣٩/١ .

٤) العسقلانى ابن حجر : فتح البارى بشرح صحيح البخارى (القاهرة مكتبة الكليات الازهرية) تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد وزميله ، ج ١٩/ ٥٥ ، ٥٦ .

جـ - روى أن رسول الله قال : من سرّه أن يَقْرَأ القُرْآن رَطْباً كما نَزَلَ فَلْيَقْرَأْهُ على قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْد (١) " يعني: عبدالله بن مسعود "

٢ - حفظ الصحابة رضوان الله عليهم القرآن من في رسول الله كما قرأه عليهم وكما أقرأهم بطرق مختلفة ، وبلغات مختلفة ، تَوْسِعَةً ورَحْمَةً بالمسلمين (٢) ، وذلك لاختلاف ألسنتهم وقبائلهم ولكن ليس لواحد منهم أن يخترع من تلقاء نفسه، بل فقط في حدود ما يقرؤه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأن الله أمره بأن يُقرئ كل قوم بلغتهم وما جرت عليه عاداتُهم (٣) .

أ - اختلف أبي بن كعب مع اثنين من الصحابة : لأنه سمع كلا منهما يقرأ سورة النحل بغير ما يقرأ صاحبُه وغيرِ ما يحفظ هو، فذهب بهم إلى رسول الله " ص " فحكم على كل قراءة لثلاثتهم بالصحة " (٤) وذلك لأنه قرأ لكل منهم قراءة في هذه السورة وإما أنه - ص - أقرهم - بوحي من ربه لأن قراءة كل منهم ليست مخالفة لما أوحى إليه ، كل هذا " رحمةً بهم "(٥).

ومثل ما سبق حدث مع عمر بن الخطاب وهشام بن حزام بن حكيم عندما اختلفا في سورة الفرقان لأن كل منهما يقرأ بقراءةٍ . إذ روى البخاري في صحيحه حدثنا عبدالله بن يوسف أخبرنا مالك عن ابن شهاب عن عروة بن

---

١) جفرى آرثر : مقدمتان في علوم القرآن تصحيح عبد الله إسماعيل الصاوى ، القاهرة ، م دار الصاوى ١٣٩٢ هـ/١٩٧٢م ، ط ٢ ، ص ٣٦ .

٢) ابن الجزرى : النشر في القراءات العشر ، (القاهرة دار الفكر ت)٢١/١ .

٣) ابن قتيبة ، عبدالله بن مسلم : تأويل مشكل القرآن الكريم ، تحقيق احمد صقر ، ١٩٧٢م ، ص ٤٥ .

٤) فتح البارى : ٢٨/١٩ - ٤٦ .

٥) ابن مجاهد : السبعة في القراءات ، تحقيق شوقى ضيف (القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٢م ، ص ٤٥ . والقصة كاملة ، نقلها ابن الجزرى في النشر : ٢١/١ .

الزبير عن عبد الرحمن بن عبد القارىء أنه قال سمعت عمر بن الخطاب يقول: سمعت هشام بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها وكان رسول الله - ص - أقرأنيها • وكدت أن أعجل عليه ثم أمهلته حتى انصرف ثم لببته بردائه فجئت به إلى رسول الله - ص - فقلت: إني سمعت هذا يقرأ على غير ما أقرأتنيها فقال لي: أَرْسِلْهُ ثم قال له: اقْرَأْ، فقرأ، فقال رسول الله - ص - هَكَذَا أُنْزِلَتْ، ثم قال لي: اقْرَأْ، فقرأت فقال رسول اللهِ - ص -: هَكَذَا أُنْزِلَتْ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَأُوا مِنْهُ مَا تَيَسَّرَ (١)، ثم بدأت قراءات القرآن تشيع في مجتمع الصحابة بإقرار رسول الله - ص - بوحي من ربه - يقول ابن الجزري في النشر: " ولأن النبي - ص - بُعِثَ إلى جميع الخلق أحمرها وأسودها وعربيها وعجميها وكانت العرب - الذين نزل القرآن بلغتهم - لغاتهم مختلفة وألسنتهم شتى ويعسر على أحدهم الانتقال من لغته إلى غيرها أو من حرف إلى آخر بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ولا بالتعليم والعلاج، لاسيما الشيخ والمرأة ومن لم يقرأ كتابا كما أشار رسول الله - ص - في حديثه مع ربه: "يارب خفف" (٢) فلو كلفوا العدول عن لغتهم وألسنتهم لكان من التكليف بما لا يستطاع، وما عسى أن يتكلف المتكلف وتأبى الطباع (٣) .. ثم قال ابن الجزري: قال ابن قتيبة في كتابه " المشكل ": فكان من تيسير الله تعالى: أن أمر نبيه - ص - بأن يقرىء كل أمة بلغتهم، وما جرت عليه عادتهم فالهذلي يقرأ " عَتَّى حِينٍ " (٤) يريد " حَتَّى " • والأسدى

---

١) النشر: ١٩/١، وانظر فتح الباري: ٢٦/١٩، ٢٧ وما بعدها •
٢) أو في رواية أخرى: " أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ إِنَّ أُمَّتِي لا تُطِيقُ ذَلِكَ " •
راجع النشر: ١٩/١، ٢٠، وفتح الباري: ٢٦/١٩ وما بعدها •
وعبد الصبور شاهين: تاريخ القرآن، القاهرة، دار الشباب للطباعة ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨م، ص ٢٢٩ - ٢٤٦ •
٣) النشر: ٢٣/٢٢/١ •
٤) يوسف ٣٥ •

يقرأ : تِعْلَمُون "(١) و " تِعْلم "(٢) و " تِسْوَد وُجُوهٌ " (٣) و " أَلَم اعْهَد إِلَيْكُم " (٤) ، والقرشى لا يهمز ، والتميمى يهمز وآخر يقرأ " قِيل لهم " (٥) " وغيض الماءُ " (٦) بإشمام الضم مع الكسر " وبِضَاعَتُنَا رُدَّت إِلَيْنا " (٧) بإشمام الكسر مع الضم ،"ومالك لا تأمنا "(٨) بإشمام الضم مع الإدغام ، ثم قال ابن الجزرى قلت : وهذا يقرأ : عَلَيْهُم وفِيهُم ، بالضم والآخر يقرأ عَلَيْهُمُوا ، وفِيهُمُوا بالصلة والآخر يقرأ مُوسَى وعِيسَى بالإمالة .. وهذا يقرأ خَبِيْرًا بَصِيرًا بالترقيق والآخر يقرأ الصَّلاة والطَّلاق، بالتفخيم .. إلى غير ذلك " (٩) والملاحظ على ما سبق من كلام ابن قتيبة ، وابن الجزرى أن الصحابة بسرعة تفهموا الأمر وتقبلوا هذا الاختلاف فى قراءة القرآن وهو لصالحهم ، ولخدمتهم ولذا فلا نستبعد كثرة من الصحابة يحفظون القرآن فى حياة النبى - ص - بل إن منهم مَنْ تنسب إليه أسانيد قراءة الأئمة العشرة المعروفين (١٠) ، ومن الصحابة الذين حفظوا القرآن فى حياة النبى : أبو بكر الصديق ت ١٣ هـ (١١) وأبى بن كعب ت ٢٠ هـ ، وعبدالله بن مسعود ٣٢ هـ ، وأبو الدرداء عويمر بن زيد ت ٣٢ هـ ، وعثمان بن عفان ت ٣٥ هـ ، وعلى بن أبى طالب ٤٠ هـ ، وأبو موسى الأشعرى ت ٤٤هـ ،

---

١) البقرة / ٢٢
٢) البقرة / ١٠٦ .
٣) آل عمران / ١٠٦ .
٤) يس / ٦٠ .
٥) البقرة /١١ والسجدة /٢٠ .
٦) هود / ٤٤ .
٧) يوسف / ٦٥ .
٨) يوسف ١١٧
٩) النشر / ٢٣/١ .
١٠) الأئمة العشرة هم : عبدالله بن عامر اليحصبى مقرىء الشام ت ١١٨ هـ ، وعبدالله بن كثير مقرىء مكة ت ١٢٠ هـ ،عاصم بن أبى النجود الكوفى ت ١٢٩ هـ ،أبو عمرو بن العلا مقرىء البصرة ت ١٥٤ هـ ،حمزة بن حبيب الزيات الكوفى ١٥٦ هـ ،نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم مقرىء المدينة ١٦٩ هـ ،على بن حمزة الكسائى الكوفى ١٨٧ هـ ،وأبو جعفر يزيد ابن القعقاع المدنى ١٣٠ هـ ،يعقوب بن إسحاق ٢٠٥ هـ ،وخلف بن هشام البزار ٢٢٩ هـ .
١١) الزنجانى ابو عبدالله :تاريخ القرآن : بيروت موءسسة الاعلى ١٣٧٨ هـ / ١٩٦٩م ، ط ٣ ،ص ٤٠ .

وزيد بن ثابت ٤٥ هـ (١) وما سبق كله حدث بسبب خوف المسلمين على كتاب الله وحبهم فى صيانته وحفظه وقد بدأ رسول الله - ص - ذلك عندما يسر على أمته فى عدم إنكاره للغاتهم المتعددة فى قراءة القرآن ،لأن الوحى جاء بكثير منها وقد تابع الصحابة رسول الله - ص - فى ذلك بحفظهم لكتاب الله ،واشتهارهم بذلك وكتابتهم له ، وتسجيلهم له فى صحف ،بيد أن رسول الله - ص - كان قد حذرهم ، من الكتابة التى تخلط بين القرآن الكريم وأحاديث الرسول - ص - فقال مَنْ كَتَبَ عَنِّى شَيْئاً غَيْرَ القُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ (٢) .. حتى يضمن سلامة القرآن .. من أن يلتبس بأى كلام آخر (٣) .. وبذا ينتهى عهد الرسالة ، وقد أصبح القرآن موثقا محفوظاً سليماً ، عرف الصحابة كيف يقرؤنه لغيرهم ، كما حفظوه ، وكتبوه فى مصاحفهم الموافِقة للوحى(٤).

٢ - عهد أبى بكر رضى الله عنه :

وفى هذه الفترة استمر حفظ الصحابة للقرآن على ما كان عليه وأصبحوا بعد وفاة الرسول - ص - أكثر خوفا عليه وحرصا عليه :

قال زيد بن ثابت كاتب الوحى : أرسل إلىّ أبو بكر عقب مقتل أهل اليمامة ، فإذا عمر بن الخطاب عنده ، فقال أبو بكر إن عمر أتانى فقال : إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن ، وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن ، فقلت لعمر : كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله - ص - قال عمر : هو والله خير ، فلم يَزَلْ يُراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك ورأيت

---

١) الحافظ الذهبى : معرفة القراء الكبار (م:دار التأليف ، تحقيق وتعليق وضبط فهرس محمد سيد جاد الحق ٣٩/١ .

٢) القسطلانى شهاب الدين : لطائف الإشارات لفنون القراءات ،تحقيق الشيخ عامر السيد عثمان، ود. عبد الصبور شاهين (القاهرة ،المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م ،ص ٥٣/١ .

٣) تاريخ القرآن : ص١٣٠ - ١٣٨ د. عبد الصور شاهين .

٤) راجع الدراسة المفصلة عن هذه المصاحف ومحتوياتها فى كتاب : تاريخ القرآن السابق : من ص ١٢٣ - ١٩٠ .

فى ذلك الذى رأى عمر . قال زيد قال أبو بكر: إنك شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله - ص - فتتبع القرآن اجمعه[١]. فوالله لو كلفونى نقل الجبال ما كان أثقل علىّ مما أمرانى به من جمع القرآن قلت: كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله - ص - قال هو والله خير ،فلم يزل أبو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح الله له صدر أبى بكر وعمر فتتبعت القرآن أجمعُه من العُسُب ،واللّخاف وصدور الرجال (٢) .

ويلاحظ على هذا العمل أن اهتمام المسلمين بكتاب الله وخوفهم عليه هو الذى دفع عمر بن الخطاب إلى ما أشار به على أبى بكر ،حرصًا على القرآن من الضياع ، وأن بوادر سلبية كانت ستحدث من سيدنا أبى بكر لولا أنه رضى الله عنه علم مقصد عمر الخيّر من جمع القرآن فشرح الله صدره للذى شرح الله صدر عمر له .

وموقف ابن ثابت مشابه لموقف أبى بكر لولا أن الله شرح صدره للذى شرح إليه صدر عمر وأبى بكر (٣) .

وتلحظ مظاهر حرص المسلمين على القرآن فى هذه الدقة المتناهية التى قام بها زيد بن ثابت فى جمعه للقرآن ، إذ إنه كان لا يعتمد على حفظه فقط بل كان لا يقبل آية إلا أن يشهد على صدق صاحبها شاهدان (٤) .

يقول السيوطى : وكان يفعل ذلك مبالغة فى الاحتياط (٥) ،وينتهى عهد أبى بكر وقد ازداد توثيق النص القرآنى وضمن بقاؤه إلى الأبد ، محفوظا

---

١) السيوطى أبو عبدالرحمن جلال الدين ،الإتقان (القاهرة : الحلبى ، ت ط ٣ ٧٥/١ وانظر لطائف الاشارات : ٥٢/١، ٥٣ .

٢) لطائف الإشارات : ٥٢/١ .

٣) لطائف الإشارات : ٥٢/١ .

٤) لطائف الإشارات : ٥٢/١ .

٥) الإتقان فى علوم القرآن : ٥٨/١ .

ومكتوبا ويبدو أن عهد عمر بن الخطاب ت ٢٣ هـ ليست فيه تحركات تجاه النص القرآني يمكن أن تسجل لتبحث آثارها . اللهم إلا أن الصحابة وتلامذتهم الذين حفظوا القرآن على عهد رسول الله - ص - كانوا قد انتشروا في البلاد الإسلامية أو استقروا فيها فغبروا يقرئن للناس بما حفظوا على يد رسول الله - ص - وأقرهم عليه وقطعا لابد أن هذه النخبة من الصحابة كانوا كثيرا [١] . وكانوا أيضا مختلفين في حفظهم كل حسبما حفظ على رسول الله ،وعليه فإن تلامذتهم في كل مكان سيذهبون إليه ،سيقرأ كل منهم على تلامذته بقراءة أستاذه التي تخالف غيره وهكذا ، ولقد بعث عمر ابن الخطاب عبدالله بن مسعود معلما ووزيراً له إلى الكوفة فالتف حوله من تتلمذوا على يديه حتى صاروا في العلم والكثرة سرج الكوفة - يأخذون عنه العلم والقرآن ويذيعونه في الناس [٢] وغير ابن مسعود كثيرون .....

أما عهد عثمان بن عفان ت ٣٥ هـ :

ففيه حدثان أنتج الأول منهما الثاني :

١ - أن الزمن لما تأخر بالمسلمين بخاصة في الأماكن البعيدة عن مهبط الوحي أو التي لم يعش أهلها جمال سماحة الوحي في التوسعة على المسلمين، أنه لما تأخر بهم الزمن خُيِّل إليهم أن هذا الاختلاف ليس أساسه الوحي .

وهذا قطعا فعله من تلقى عن الصحابة أو من تلقى على من تلقى عليهم ، فاختلف التلامذة وخطأ كل منهم الآخر في قراءته [٣] .

روى مصعب بن سعد قال : لما كثر اختلاف الناس في القرآن قالوا قراءة ابن مسعود ، وقراءة سالم مولى أبي حذيفة ، قال : فجمع عثمان بن عفان أصحاب محمد - ص - فقال : إني رأيت أن أكتب مصاحف على حرف زيد بن

---

١) النشر : ٢١/١ .
٢) يوسف خليف : حياة الشعر في الكوفة (القاهرة : دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، ١٣٨٨ هـ/١٩٦٨م ،ص ٢٤٤ .
٣) مقدمتان في علوم القرآن : ص ٢٠ .

القراءات الصحيحة (١) . أو التي يحكم عليها بالصحة ، وقلة من الشاذة أو الضعيفة ،ولكنه لم يحجر رضي الله عنه على الناس أن يقرؤا بما حفظوا من مصاحفهم التي أرسل بها إلى الأمصار (٢) ،لكنه أرسل مع كل مصحف مقرئا توخى عثمان رضي الله عنه أن توافق قراءة هذا المقرئ أهل المصر الذاهب إليهم في الأكثر الأغلب (٣) .

وعدد المصاحف على المشهور خمسة (٤) إلى خمسة أمصار ، ونلاحظ أن هذه الأمصار غبر أهلها يقرؤن القرآن من هذه المصاحف كل مصر في مصحفه ونبغ في كل مصر أعلام :

١ - ففي المدينة : معاذ بن الحارث المعروف بمعاذ القارئ ت ٦٣ هـ ، وسعيد بن المسيب ٩٤ هـ ، وعروة بن الزبير ٩٥ هـ ، وعمر بن عبد العزيز ١٠١ هـ ، وعطاء بن يسار ١٠٧ هـ ،ومسلم بن جندب ١١٠ هـ ، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري ١٢٤ هـ ، وزيد بن أسلم ١٣٠هـ .

٢ - وفي مكة : عبيد بن عمير ت ٧٤ هـ ، ومجاهد بن جبر ١٠٣ هـ ، وطاووس ابن كيسان ١٠٦ هـ ، وعطاء بن أبي رباح ١١٠ هـ ، وعبدالله بن أبي مليكة ١١٧ هـ ، وعكرمة مولى ابن عباس .

٣ - وفي الكوفة : عمرو بن شرحبيل بعد ٦٠ هـ وعلقمة بن قيس ٦٢ هـ ، ومسروق بن الأجدع ٦٣ هـ ، وعبيد بن عمرو السلماني ٧٢ هـ . وأبو عبد الرحمن

---

١) القراءات واللهجات ٩٤ .
٢) انظر كلام ابن أبي طالب مكي في هذا فأراد الناس في القرن الرابع أن يقتصروا من القراءات التي توافق المصحف على ما يسهل حفظه وتنضبط القراءة به : الإبانة / ٤٧ .
٣) محمد عبد العظيم الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن ،القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٢ هـ ،ط ٣ ، ١٢٣ /٤٠٦ .
٤) محمد غوث الغائطي الأركاني : نثر المرجان في رسم نظم القرآن ،حيدر آباد الدكن مطبعة عثمان ج ١/٧ .

ثابت ثم أبعث بها إلى الأمصار .. قالوا نعم ما رأيت (١) .

٢ ـ حدث ابن شهاب عن أنس بن مالك أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان بن عفان ، وكان يغازى أهل الشام مع أهل العراق فى فتح أرمينية وأذربيجان فأفزعه اختلافهم فى القراءة قال يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فبعث إلى حفصة أن أرسلى إلينا بالصحف فننسخها فى المصاحف (٢) ، ثم نردها عليك فأرسلتها إليه فأمر عثمان زيد بن ثابت وعبدالله بن الزبير وسعيد ابن العاص ،وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن ينسخوا الصحف فى المصاحف فلما تم لهم ذلك ونقلت الصحف فى المصاحف ، بعث عثمان بن عفان إلى كل أفق مصحفا من تلك المصاحف التى نسخوها وأمر بما سواها من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق (٣) .

والملاحظ على النصين السابقين ما يلى :

١ ـ أن حرص المسلمين على كتاب الله ، وخوفهم عليه كان وراء هذا التصرف السلبى منهم ، والمتمثل فى تخطئة بعض منهم لبعض فى قراءة القرآن فى محاولة منهم لتحرى الحقيقة وأعنى بالمسلمين هنا ـ عامة المسلمين ـ لا علماءهم فى الصدر الأول .

٢ ـ ومن مظاهر الخوف على كتاب الله ما قام به عثمان بن عفان عندما كتب عددا من المصاحف وأرسلها إلى الأمصار ولو أنه زاد فى عدد المصاحف التى كتب لرأينا بين أيدينا الآن ومنذ عهد عثمان كثرة من

---

١) مقدمتان فى علوم القرآن : ص ٤٤ ، ٤٥ .

٢) هناك فرق بين الصحف والمصاحف فالصحف فيها القرآن سورة سورة وسورا سورا والمصاحف جعلت كل هذا بين دفتين مؤلفا (لطائف الاشارات) ٥٨/١ .

٣) القراءات واللهجات : ص ٩٤ .

عبد الله بن حبيب السلمى ٧٤ هـ ، والأسود بن يزيد النخعى ٧٥ هـ ،وعمر بن ميمون ٧٥ هـ وعبيد بن فضله ٧٥ هـ وزر بن حبيش ٨٢ هـ والربيع بن خيثم قبل ٩٠ هـ ، وسعيد بن جبير ٩٥ هـ وإبراهيم بن يزيد النخعى ٩٦ هـ ، وعامر ابن شراحيل الشعبى ١٠٥ هـ والحارث بن قيس الجعفى وابو زرعه بن عمرو ابن جرير ٠

٤ ـ وفى البصرة : عامر بن عبد قيس ٥٥ هـ أبو العالية رفيع بن مهران الرياض ٩٠ هـ ، يحيى بن يعمر العدوانى ٩٠ هـ ، ونصر بن عاصم الليثى بن ١٠٠ هـ أبو رجاء العطاردى ١٠٥ هـ والحسن البصرى ١١٠ هـ ومحمد بن سرين ١١٠ هـ وقتادة بن دعامة ١١٧ هـ ومعاذ بن العنبرى ١٩٦ هـ وفى الشام المغيرة بن شهاب المخزومى ت نيف وسبعين وخليفة بن سعد صاحب أبى الدرداء (١) .

يقول ابن الجزرى ثم تجرد قوم للقراءة والأخذ واعتنوا بضبط القراءة أتم عناية ، حتى صاروا فى ذلك أئمة يقتدى بهم ويرحل إليهم ويؤخذ عنهم ، أجمع أهل بلدهم على تلقى قراءتهم بالقبول ولم يختلف عليهم فيها اثنان ولتصديهم للقراءة نسبت إليهم (٢) ثم ذكر الثبت الآتى :

١ ـ المدينة : أبو جعفر يزيد ن القعقاع ١٣٠ هـ ثم شيبة بن نصاح ١٣٠ هـ ، ثم نافع بن أبى نعيم ١٦٩ هـ ٠

٢ ـ مكة : عبد الله بن كثير ١٢٠ هـ ،وحميد بن قيس الاعرج ١٣٠ هـ ، ومحمد بن محيض ١٢٣ هـ ٠

٣ ـ الكوفة : يحيى بن وثاب ١٠٣ هـ ، وعاصم بن أبى النجود ١٢٩ هـ ، وسليمان الأعمش ١٤٨ هـ ، ثم حمزة ١٥٦ هـ ،ثم الكسائى ١٨٩ هـ ٠

---

١) أحمد مصطفى طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة ،القاهرة ،الاستقلال الكبرى الجزء الاول ص ٧٠ ٠

٢) النشر : ٨/١ - ٩ ٠

٤ ـ البصرة : عبد الله بن أبى إسحق ١٢٩ هـ ، وعيسى بن عمر ١٤٩ هـ ، وأبو عمر بن العلاء ١٥٤ هـ ثم عاصم الجحدرى ١٢٨ هـ ثم يعقوب الحضرمى ٢٠٥ هـ .

٥ ـ الشام : عبد الله بن عامر ١١٨ هـ ، وعطية بن قيس الكلابى ١٢١ هـ ، وإسماعيل بن عبدالله بن المهاجر ١٤٥ هـ ،ويحيى بن الحارث ت ١٤٥ هـ ثم شريح بن يزيد الحضرمى ت ٢٠٣ هـ (١) .

ويلاحظ أن عدد هؤلاء القراء كثير عما استقر عليه فى القرن الرابع الهجرى .

وتبدأ بعد ذلك فترة التأليف فى القراءات من أواخر القرن الأول الهجرى وأوائل القرن الثانى الهجرى ، وكان يحيى بن يعمر ـ فى بعض الآراء ـ أول من ألف فى القراءات ، ثم جاء بعده كثيرون .. ويلاحظ أن هؤلاء المؤلفين كانوا يؤلفون فى هذا الموضوع يجمعون فى كتبهم عددا من هؤلاء القراء السابقين كثيرا أو قليلا ، وتمتد هذه الفترة حتى القرن الرابع الهجرى ، الذى يكثر فيه القراء ، على اختلاف فى قدراتهم على إجادة حفظ القراءات وضبطها ، وينتشر بين هؤلاء وأولئك بعض ممن يرون عدم أهمية السند فى القراءات ، مما أثار ابن مجاهد لما ألم بالأمة آنذاك ، فاضطره إلى تأليف كتاب أسماه السبعة فى القراءات وقد وضع فيه أبو بكر بن مجاهد سبعة قراء فقط وهم القراء المعروفون (٢) وهم : أبو عمروبن العلاء من أهل البصرة وحمزة وعاصم من أهل الكوفة والكسائى من أهل العراق وابن كثير وابن عامر من أهل الشام ونافع من أهل المدينة .

لكن للأسف فإن الناس اعتقدوا اعتقادات خاطئة حول سبعة ابن مجاهد

---

١) النشر : ١/٨ - ٩ .

٢) سيأتى حديث متكرر حول ظروف تأليف كتاب السبعة فى مكانه من هذه الرسالة ،وقد سبق أن أشرت إلى هؤلاء القراء ص١٠

فمنهم من قبلها وقبل من فيها ورفض ما سوى السبعة من قراء مشهورين موثوق فيهم وفى قراءتهم، ومنهم من ظن أن هذه السبعة هى المقصودة من قول رسول الله - ص - أنزل القرآن على أحرف سبعة "(١) ولكن هذا الاعتقاد وجد تيارا مناهضا إيجابيا تحرك على مستوى نظرى للرحمة بالمسلمين والتوسيع عليهم حتى لا يضيع هذا الكم الهائل من القراءات الصحيحة بسبب عدم وجودها فى كتاب السبعة وأن كتاب السبعة لابن مجاهد لا يعد إلا أنموذجا للقراءات الصحيحة والتى هى فى الأصل تزيد عن السبعة بكثير والتى وجدت فى كتب من سبقوا أبا بكر بن مجاهد ، فمنهم من وضع فى كتابه أكثر من عشرين قارئا (٢) ... أو أقل أو أكثر ، لكن ينبغى ملاحظة أمر مهم وهو أن كل هذه الأعمال التى سبقت ابن مجاهد أو عاصرته أو لحقت ابن مجاهد تعد توثيقا مستمرًا للنص القرآنى خوفا عليه من أن تصيبه يد التحريف بسوء أو بما يزحزح قدسيته وجلالته ، على أن الأمر يزداد وضوحا عند الإشارة إلى ما يأتى :

١ - أنه ظهر من خلال تتبع نشأة القراءات أن نشأتها ارتبطت بالوحى(٣) وليس سببها اللهجات (٤،٥) بدون وحى أو سببها ضعف الخط الذى كتبت به المصاحف فى عهد عثمان (٦) أو غيرها من الأسباب ، فالواضح أن القراءات

---

١) النشر ١٩/١ وما بعدها ،ولهذا الحديث روايات عديدة ،راجعها فى تاريخ القرآن لشاهين ص ٢٣٧ وكتاب فضائل القرآن لابن كثير ص ٣٦ .

٢) النشر ٣٤/١ أى أن هناك تيارا آخر لم يرتض عمل ابن مجاهد فتحرك على المستوى العملى عن طريق تأليف كتب تضم أكثر من سبعة ، أو أقل من سبعة ،وكذلك من أجل إفهام الناس المعنى الصحيح فى الحديث ، وهو أن رسول الله - ص - لا يقصد سبع قراءات أو سبعة قراء .. كما سيأتى ..

٣) مصطفى صادق الرافعى : إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية القاهرة مطبعة الاستقامة ج ٦ ،ص ٥١ .

٤) إبراهيم أُنيس : اللهجات العربية (القاهرة ص ٣٧ - ٣٨) .

٥) طه حسين : الأدب الجاهلى ،القاهرة دار المعارف ص ٣٥ .

٦) كولد تسيهر : مذاهب التفسير الاسلامى ترجمة (عبد الحليم النجار) القاهرة ،مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م ص ٨ .

التى صحت نسبتها إلى رسول الله على شرط ابن الجزرى ، هى القراءات الصحيحة وهى كثيرة (١) ونشأت مع نزول الوحى على رسول الله - ص - الذى بلغها إلى الصحابة وقرؤها عليه وهكذا .

٢ - أن هذه القراءات التى نقلت عن رسول الله - ص - كانت كثيرة جدا ، وكان القراء كثيرين أيضا ومرت هذه الكثرة حتى القرن الرابع الهجرى ، بمحاولات جادة لتوثيقها لتظل موثوقا فيها ، إلا أن القرن الرابع الهجرى شهد تشددا فى توثيق هذه القراءات مما كان سيؤدى إلى حصرها فى سبع قراءات فقط ، لولا ما تداركته هذه الأمة من إعادة الثقة فيمن لم يوثقهم ابن مجاهد ، وذلك بوضعهم مع الموثقين من القراء ، وإعلان الثقة فيما جاءوا به .

٣ - ليس من المستبعد أن يكون كل توثيق أشير إليه فيما سبق كان له من إيجابياته ما يذكر فيشكر وعلى الجانب الآخر فمن المعتقد أن كل توثيق كان يمر بالقراءات يثمر وراءه بجانب هذا تشديدا لقراءات صحيحة (٢) ، كان سيكتب لها الذيوع والانتشار والقوة فى الاستعمال لولا ما أحيطت به من ظروف أدت إلى محاصرتها لتبقى بعيدا عن عين الرضى !!

ولا يوجد دليل يدل على صحة الفقرة السابقة أعظم من أن تقرأ ما جاء فى كتاب الحدائق الناضرة فى مدح من لم تطلنا قراءتهم فى الصحيح لقد ذكر صاحب الكتاب أن جده أفرد كتابا فى أسماء الرجال الذين نقلوا هذه القراءات فى كل طبقة وهم يزيدون عما يعتبر فى التواتر(٣) وهذا فى الحقيقة قول واحد من أقوال لا تحصى فى مدح غير هؤلاء السبعة أو حتى العشرة !

---

١) النشر ١٤/١ ، ١٥ ، ١٦ .
٢) عبد الهادى الفضلى : قراءة ابن كثير وأثرها فى الدراسات الصرفية والنحوية . رسالة دكتوراه ١٩٧٥/٩٢م بمكتبة كلية دار العلوم .
٣) يوسف البحرانى: الحدائق الناضرة (النجف م. النجف ١٣٨٠هـ ٩٥/٨٠ ، حققه وعلق عليه محمد تقى الأيروانى وسيأتى حديث كامل عن التواتر وما يعتبر فيه ...

نشـــأة النحـــو :

وتحت هذا العنوان يجدر الإشارة إلى النقاط الآتيـــة :

أ - واضع علم النحـــو .

ب - نشـــأة النحـــو .

جـ -اللحن قبل الاسلام .

أ - واضع علم النحو: يقول السيرافى : اختلف الناس فى أول مــــن رسم النحو ، فقال قائلون : أبو الأسود الدؤلى [1]، قد أعانه تلميذاه : نصر ، وابن هرمز فى وضع بذور علمية ساهمت فى إظهار الحركات الإعرابية"[2]. والتى تطورت فيما بعد وألفت بسببها ، ومن أجلها كتب كثيرة ، بـــدأت هذه الكتب بكتاب " سيبويه " ذلك الكتاب الذى يعد بحق - ثمرة النشـــاط العلمى الذى سبق وضع هذا الكتاب ، وفاتحة النشاطات النحويــــــــة اللاحقـة له .

ب - نشأة بذور علم النحو :

باختصار مفيد فإن ظهور اللحن فى القرآن أو امتداده إلى القـــرآن دفع كثيراً من أولى الأمر إلى أن يأمروا العلماء المختصين أمثال أبـــى الأسود وتلامذته إلى عمل محاولة تحفظ الألسن من الخطأ فى قراءة القـــرآن وتمثلت هذه المحاولة فى القيام بنقط القرآن الكريم نقط إعراب "[3].

ومعنى هذا أن اللحن كان موجوداً ، وكان مستهجنا - كالعادة عنـــد

---

١) السيرافى : ص ١٣ نقلا عن كتاب : المدارس النحوية ، ص١٦ .

٢) المدارس النحوية ص١٦ وما بعدها ،ومما يجب ذكره أن أ.د. شوقى ضيف قد أرجع السبب فى نشأة النحو إلى عوامل مختلفة منها الدينـــــى ومنها غير الدينى .

٣) القرآن الكريم وأثره فى الدراسات النحوية ،عبد العال سالم مكرم ص ٣٦ - ٤٢ .

العربى على أن امتداده إلى القرآن الكريم أدى إلى تحرك مشاعر الخوف على القرآن ، ومحاولة حمايته بكل الوسائل المتاحة ... وبدءا فإننى أعتقد أن هذا اللحن (١) كانت له جذور - وإن لم تكن قوية - فى البيئة الجاهلية ، ولأنه لا يوجد تأثير مباشر على عقيدة العرب قبل الإسلام من جراء هذا اللحن فإنه لم يؤد إلى نشأة بدايات لعلم النحو .

لكنه لابد من ذكر أن كثيرًا من العلماء قدامى ومحدثين قد جروا على نفى اللحن عن البيئة العربية قبل الإسلام وإنما هو محدث عندهم قال ذلك ابن فارس (٢) وكذلك ابن خلدون (٣) ، وكذلك الرافعى (٤) ،ود. عبد العال سالم مكرم (٥) وغيرهم كثير، سواء قالوا هذا بقصد أم بغير قصد فإن السطور الآتية ستثبت وجود لحن فى البيئة الجاهلية ومنها سيظهر وبحق - السبب الرئيسى فى التفكير فى علم النحو بعد الإسلام .. " كل ذلك بالإضافة إلى وجود من يفهم من كلامهم موافقة ما نذهب إليه ..(٦)

---

١) لكلمة اللحن معان كثيرة ، وكتبها أكثر ، وتطور استعمالها مسجل فى هذه الكتب على اختلافها ،وقد أغفلت ذكر كل هذه ،لأن البحث لم يخصص له ...
٢) معجم مقاييس اللغة . ابن فارس، ٥٣٩/٥ .
٣) مقدمة ابن خلدون : تحقيق على عبد الواحد وافى طبعة القاهرة١٩٥٧م، ١٢٥٥/٤ ، ١٢٧٠ ، ١٢٧٢ ، ١٢٧٤ .
٤) تاريخ آداب العرب : للرافعى : ٢٤٢/١ .
٥) القرآن وأثره : ص٢٤ ، ٢٥ .
٦) صبح الأعشى . القلقشندى : ١٥٦:٣ ، ١٥٧ ومدرسة البصرة النحوية ص٦.

جـ - اللحن قبل الإسلام :

إن الحقيقة تدعو إلى عدم مخالفة القول بتأخر ذيوع اللحن إلى ما بعد الإسلام ، ودخول غير المتكلمين بالعربية الدين الجديد ، ومحاولة تكلمهم اللغة العربية ، فكان لابد من ظهور لحن فى كلامهم أو فى قراءاتهم للقرآن .

ولكن لابد أيضا من القول بأن طبيعة اللفظة العربية منذ بداية العهد بها ، من حيث عدم إعجامها ، أى : عدم نقطها وعدم شكلها ، وعدم وجود علوم تحمى خطها المكتوبة به (١) ، فتحيطها بحصن يحميها ، اللهم إلا عقول ثقاتها ومهارة حفظهم . أقول كل هذا يدفع إلى القول بأن وجود اللحن فى هذه الألفاظ كان واردا ، سواء على مستوى اللفظة ، أو على مستوى التركيب (٢) والموقع ، على تفاوت كبير فى انتشار الخطأ الأول .

ويؤيد هذا أن المناظرات الأدبية التى كانت تعقد بالأسواق (٣) وفى غيرها كانت تعقد أصلا لتفضيل قول على قول ، وشعر على شعر ، وأساس هذا التفضيل هو مدى خلو هذا القول من المعدود خطأ ، أو لحنا ، ومتعارفا عليه فيما بين الحذاق منهم. ويدل على صحة هذا اعتراف العربى نفسه بأن كلامه كان محملا ببعض الخطأ ، يقول النابغة - وهو من هو فصاحة وعلما - " قدمت الحجاز وفى شعرى هنة ، ورحلت عنه وأنا أشعر الناس (٤) والقصة

---

١) مقدمة ابن خلدون : ١٢٥٧/٤ وما بعدها .
٢) لأن الخطأ على مستوى التركيب والموقع يكون عادة عند غير العرب الناطقين - بداية بالعربية -
٣) هذه الأسواق التى كان زوارها يهتمون من بين ما يهتمون فيها بالشعر كانت كثيرة جدا والمشهور منها : عكاظ ومجنة وغيرهما
٤) المرزبانى - الموشح ص ٣٩ .

من أولها تفيد هذا وتدلل عليه ، إذ إن النابغة كان قد وصف " المتجردة " زوج " النعمان بن المنذر " فوقع " الإقواء "(١) فى شعره ،والأبيات التى وقع فيها الأقواء هى :

مِنْ آلِ مَيَّةَ رَائِحٌ أَوْ مُغْتَدِى ... عَجْلَانَ ذَا زَادٍ وَغَيْرَ مُزَوَّدِ

الى أن قال :

زَعَمَ الْبَوَارِحُ أَنَّ رِحْلَتَنَا غَدًا ... وَبِذَاكَ خَبَّرَنَا الْغُرَابُ الْأَسْوَدُ

ثم قال : سَقَطَ النَّصِيفُ وَلَمْ تُرِدْ إِسْقَاطَهُ

فَتَنَاوَلَتْهُ وَاتَّقَتْنَا بِالْيَدِ

بِمُخَضَّبٍ رَخْصٍ كَأَنَّ بَنَانَهُ ... عَنَمٌ يَكَادُ مِنَ اللَّطَافَةِ يُعْقَدِ (٢)

وكان أهل الحجاز كغيرهم يعجبون بالنابغة ، فلما دخل المدينة كانوا قد عرفوا الإقواء فى هذا الشعر ، فدسوا له قينة تغنيه به فغَنَّتْه ومدت صوتها بالقوافى ، فظهر الاختلاف فى حركتها ،وتنبه النابغة لما جاء فيها مضموما وهى مكسورة كلها ، فأصلحه ليكون مكسورا كله ..(٣)

ولست أريد أن أعرض كل ما قيل فى هذه الرواية ،أوردَّ عليه فيها ، وسواء أصحت هذه الرواية عند غيرنا أم لم تصح (٤) فهذه الرواية لها ما يؤيدها فى كتب الضرورات الشعرية والتى ملأت كثيرا من الكتب النحوية ! و التى سميت فيما بعد ضرورة ، أو شذوذا ، أو لغة ، أو تحت قولهم : ربما استهواهم الشىء فزاغوا به عن القصد !! (٥) .

وإذا كان النابغة لم يبرأ من أن تعد عليه لحنة هنا أو هناك فإن

---

١) الاقواء هو اختلاف حركة الروى عما بنيت عليه القصيدة من حركة .

٢) الموشح ، ص ٣٩ .

٣) الموشح ، ص ٣٩ .

٤) الكتاب لسيبويه : ١٨١/٢ وانظر خزانة الأدب : ٤٣٠/٣ والمحتسب لابن جنى : ١٨٧/١ طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، تحقيق على النجدى ناصف وزميلاه ، القاهرة : ١٣٨٦ هـ .

٥) المزهر للسيوطى : ٤٩٤/٢ ، والخصائص : ٢٧٣/٣ .

هذا لا يخرجه من دائرة الفصحاء الذين يلجأ إليهم في نقد الشعـــر ،أو فصاحة الكلام من جميع جوانبه ، لغوية وغير لغوية ، يؤيد هذا مـــا روى من أن حسان بن ثابت وقعت بينه وبين النابغة مشادة بسبب أن النابغـــة قدم الأعشى والخنساء ، وأغفل شأن حسان عندما عرضوا عليه ، ليحكم فـــى شعرهم ، فغضب حسان وقال للنابغة : " والله لأنا أشعر منك ومن أبيك " فقال النابغة : يا ابن أخى حيث تقول ماذا ؟ فقال حسان : حيث أقـــول :

وَلَدْنَا بَنِي الْعَنْقَاءِ وَابْنَيْ مُحَرِّقٍ ... فَأَكْرِمْ بِنَا خَالاً وَأَكْرِمْ بِنَا ابْنُمَا

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرُّ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى ... وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمَـا

فقال النابغة : إنك لشاعر ، ولكنك أقللت جفانك وأسيافك وفخرت بمـن ولدت ،ولم تفخر بمن ولدك .. " (١)

ومؤدى كلام النابغة - فى حكمه على حسان - أن حسان بن ثابـت جمع " جفنة " على جمع القلة " جفنات " ولم يجمعه على الكثير المشهـور المستعمل ، وهو " جفان " كذلك كلمة " أسياف " تجمع على الكثرة "سيوف " (٢) وبهذا اللحن أخّر حسان وقدّم الأعشى والخنساء وهكذا يتفاضل الشعـــراء فى جودة الكلام الخالى من كل ما يعيبه لغة أو نحوا ، أو صرفا ، أو مـا يترتب عليها من موسيقى والعرب فى هذا عامة يعدون - بحق - أربــاب الفصاحة والبيان لصفاء سليقتهم ،واعتزازهم ، وفخرهم بفصاحتهم ،ومــع هذا فلا يخلو الأمر من أن يكون بينهم قبل الإسلام - من يلحن مرة فى عمره ، أو مرتين ، بسبب صغر سنه ، أو كبر سنه ، أو حب فى المخالفة ،أو بسبب اختلاطهم بغيرهم ممن لا يتكلمون العربية بفعل التجارة أو غيرهـــا ، أو بسبب رداءة مكتوباتهم لسوء الخط العربى (٣) ،ومع هذا كله فلا نعتب

١) الموشح : ٦٠ ، الأغانى : ٣٤٠/٩ طبعة دار الكتب .

٢) أجاز سيبويه أن يكون جفنات فيه معنى الكثرة ،قال :وقد يجمعـون بالتاء وهم يريدون الكثرة ،انظر الكامل المبرد : ٣٥٣/١ ،طبعـة الاستقامة سنة ١٣٦٥ هـ .

٣) الإيناس بعلم الأنساب للوزير المغربى ص ٨ ، ٩ .

على هؤلاء الفصحاء أن لم يفعوا علوما للغتهم منذ البداية (١)لأن حياتهم قبل الإسلام كان طابعها العام لا يعين على ذلك،فهي حروب وغـــزوات وتنقل ،وفقر وجدب ،وما ينتج عن هذا وذاك من قصور الإمكانات ،وعـــدم وجود الدوافع الملحة ٠

على أن الأمر يختلف تماما بعد مجيء رسول الله - صلى الله عليـه وسلـم بقرآن موحى به إليه ، وأضحى الناس يقرؤنه على اختلاف ألسنتهـم ، فإذا ظهر لحن فى قراءتهم له ، كان هذا دافعا ملحا ، يجب أن تتوفر لـه كل الإمكانات للقضاء عليه ٠وتم هذا فعلا ٠ إذ بدأ التفكير فى إنشاء علـم يحفظ الألسنة من الخطأ فى كتاب الله خاصة ، وفى الكلام المتعامل بـه عامة ٠ونشأ هذا العلم - علم النحو - بفعل هذا العامل الدينى البحـت المتمثل فى خوف المسلمين على كتاب الله من اللحن فيه ٠ تحدوه أيـادى مخلصة ، تأتى وتتكون مادته من كلام وآراء العلماء المبرزين - غالبا - فى علم القراءات ، وهكذا بدأت بدايات علم النحو ، وكان ينتظـر أن يقوم هؤلاء العلماء فرادى وجماعات بصنع قواعدهم بعد استقراء القـرآن وبقية كلام العرب ، ثم صياغة قواعد تتناسب مع كل هذه المصادر التـى ستصبح مادة استشهاد على صحة هذه القواعد ، لكن الذى حدث أن بعضـا من هؤلاء العلماء ،قد بدت عليهم مظاهر قصور فى عملهم سواء فى وضعهـم لقواعد علم النحو ، أم فى طريقة الاستشهاد لها ، كل هذا إما بدوافـع نفسية أملت عليهم حب المخالفة وتخطئة الآخرين ، وكره الرجوع عن الـرأى أو المنافسة ٠وإما بدوافع دينية (٢) إيجابية أو سلبية متمثلة فى الخوف على كتاب الله من أن يخطىء بعضهم بعضا فيه احتجاجا بآياته ،لذلك فإما أن يلوذوا بالصمت ، وإما أن يجرحوا القارىء نفسه فمثلاً نلاحظ أنه برغـم قولهم " بأن القراءة سنة يجب الرجوع إليها " عند تقعيد القواعـد ،

---

١) اللغة والنحو : د٠ حسن عون ص١٥٦ ٠

٢) راجع فى هذا الرواية والاستشهاد باللغة ، أ٠ د٠ محمد عيد من ص ٣٤ ، إلى ص ٢٢٦ ٠

وبأن العربية - أى : النحو- تتبع القراءة وليس العكس (١) ،نجد أن هذا الكلام يطبق ساعة ما تتفق هذه القواعد مع قراءات القرآن ، فـــإن خالفتها ، أعطى أصحاب القواعد لأنفسهم الحق فى تجريح صاحب هذه القراءة ثم تجريح قراءته ، لكنهم غالبا يحاولون تجريح صاحب القراءة لأنه ليـــس إلهاً أو معصوما مثلا .. واستمر النحاة على هذه الحال حتى القرن الرابع الهجرى الذى شهد إغلاق الاستشهاد لعلم النحو ، وعدم الثقة فى كـــل مـــن يمكن أن تؤخذ عنهم مادة الاستشهاد لقواعد هذا العلم إلى اليوم اللهـــم إلا آيات القرآن وبعض قراءاته التى ظلت فيها الثقة إلى اليوم كما مضى سواء أبى بعض النحويين أم رضوا ..

ومن القراءات التى ظلت فيها الثقة من قبل العلماء المنصفيـــن ، قراءة يعقوب بن إسحق الحضرمى ...

---

١) تفوه بهذا الكلام نظريا أكثر النحاة ومن طبقه عمليا علماء معدودون.

الفصـــل الأول

يعقـــوب بن اســحق الحضرمى

في هذا الفصل :

١ – اسم يعقوب الحضرمى ونســبه .

٢ – كنيتـــه .

٣ – قبليتـــه .

٤ – الولاء في نسبـه .

٥ – تاريخ مولده ووفاته .

٦ – بلـــده .

٧ – أخلاقـــه .

٨ – آراء شيوخه فيه – وأقرانه – وتلاميذه .

٩ – علمـــه .

١٠ – مؤلفاتـــه .

١ - اسمه ونسبه :

هو يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبى اسحاق ، أبو محمد الحضرمى ، مولاهم البصرى ..

صاحب القراءة المشهورة فى القراءات العشرة ؛ أجمعت غالبية كتب الطبقات والتراجم (١) على عرض اسمه بهذه الكيفية دون تحريف أو تصحيف ، إلا أن المتتبع لهامش كتاب " النجوم الزاهرة " رقم (١) يجد أن هذا الهامش احتوى العبارة التالية : أن هذا ما فى تهذيب التهذيب وفى الأصلين " يزيد " أ. هـ . !!

---

١) انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد . دار صادر بيروت : ٣٠٤/٧ وطبقات خليفة ، حققه أكرم ضياء العمرى ،مطبعة العانى بغداد سنة ١٩٦٧ م ، ص ٢٢٧ ، ط ١١ ،وتاريخ خليفة القسم الثانى /١٢٥ طبعة دمشق ١٩٦٨ م، والجرح والتعديل ، الرازى ،حيدر آباد الدكن ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م ،طبعة أولى القسم الثانى من المجلد الرابع ص ٢٠٣ . والتاريخ الكبير للبخارى : ٣٣٩/٨ والتاريخ الصغير : ٣٠٤/٢ ، وتاريخ بغداد - للخطيب البغدادى ٤٦٣ هـ ، وفيات الأعيان ، وأنباء أبناء الزمان لأبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان ت ٦٨١ هـ . حققه د. إحسان عباس - دار صادر بيروت ٦ :٣٩٠ - تهذيب الكمال فى أسماء الرجال لأبى الحجاج يوسف المزى (ت ٧٤٢ هـ) (نسخة مصورة عن النسخة الخطية بدار الكتب المصرية - دار المأمون للتراث - دمشق) لوحة ٨٥٩، تهذيب التهذيب . ابن حجر العسقلانى - دار الفكر ،ط ١ ، ٣٨٢/١١ ، طبقات الزبيدى : ص ٥٤ ،تاريخ أبو الفدا ٢٧/٢ ، العبر فى خبر من غبر للذهبى ت ٧٤٨ هـ - ٣٤٨/١ . تحقيق د. صلاح الدين المنجد،دائرة المطبوعات والنشر - الكويت . الكاشف للذهبى ٢٩٠/٣ - إنباه الرواه على أنباء النحاة للقفطى - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. مطبعة دار الكتب ١٩٧٣ م - ٤٥/٤ ، طبقات القراء . ابن الجزرى ٣٨٦/٢-٣٨٩، معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار - للذهبى - تحقيق محمد سيد جاد الحق ط ١ دار الكتب الحديثة ج ١ / ١٤٨ ،١٤٩ ، ١٥٧ =

أيضا يلاحظ أن محقق كتاب غاية النهاية عندما قدم ترجمة يعقوب الحضرمى ، ذكرها كما يلى :

" أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن " زيان " بن عبد الله بن أبى إسحق ... " ثم بدأ يذكر نسب يعقوب تحت رقم ٣٨٩١ : بأنه : يعقوب بن إسحق بن زيد بن عبد الله بن أبى إسحق أبو محمد ... " وهذه ترجمة صحيحة لاسمه ولكن كلاً من نص صاحب هامش النجوم الزاهرة ،وكذلك نص التصدير الخاص باسم يعقوب الحضرمى فى ترجمته بكتاب " غاية النهاية " ليس صحيحا ، لأن النص الذى تصالحت كتب الطبقات على تناقله من أول " ابن سعد " وخليفة بن خياط ، إلى اليوم هو أن جده اسمه " زيد " وليس " يزيد " أو " زيان " ، فإذا كان محققا هذين الكتابين قد ذكر هذا " الأصل " " يزيد " أو زيان من أجل تخطئته فهذا أمر يقبله البحث ، ويسعى إليه ، وهذا أيضا هو المفهوم من إشارتهما إليه ،وإن كان واضحا عند محقق " النجوم " أكثر منه عند ناشر " غاية النهاية " وإلا فالصواب هو ما أثبتناه عن جميع كتب الطبقات المشار إليها فى الهامش .

٢ - كنيته :

واضح من ذكر اسم يعقوب كاملا أنه احتوى على قولهم " أبو محمد " وهذه كنيته التى اشتهر بها فى كتب التراجم إلا أنه اشتهر أيضا بكنية أخرى هى : أبو يوسف ، لذلك وجدنا من ترجموا له يقولون عنه : أبومحمد

= سير أعلام النبلاء للذهبى . مؤسسة الرسالة الطبعة الاولى ١٣٧٤ هـ / ١٦٩/١٠ ، معجم الأدباء ٥٢/٢٠ ، ٥٣ ، بغية الوعاة للسيوطى ،تحقيق محمد أبو الفضل ، مطبعة عيسى البابى الحلبى ط ١ ، ٣٤٨/٢ .
- إرشاد الأريب : ٣٢٠/٧ .
- النجوم الزاهرة : ١٧٨/٢ والفهرست ٣٠ ، ٣٦ .
- الأعلام خير الدين الزركلى ، ط ٣ ، ٢٥٥/٩ .

وأبو يوسف " مرة ، ومرة ثانية " أبو محمد " فقط وهذه كثيرة ، ومـــرة أخرى أبو يوسف ، وهو بالثالثة الأخيرة أقل شهرة ،لكن هل يعنى هــــذا أن له أبناء " بهذه الأسماء أم لا ؟ ! والإجابة على هذا الســؤال فى الفقرة الآتيـــة :

٣ - قبيلتـــه :

لاشك أن يعقوب الحضرمى له أب وأم وأخوة ، وأعمام ، لأن كل هــؤلاء قد نصت عليهم كتب الطبقات ، وإن لم تنص فهم معروفون بالضرورة ،ولقــد نصت كثير من المراجع على أن ليعقوب الحضرمى أخا يدعى أحمد بن إسحــق الحضرمى ، وهو أسن من يعقوب ،وله علم وفير فى القراءات والحديــث ، والفقه واللغة ، وقد وثقه أحمد بن حنبل ، ووصفه " بالصدق " .

كذلك نصت هذه المراجع على اشتهار ابن أخى يعقوب " زيد " بالعلم الوفير ، والرواية الصحيحة عن عمه يعقوب ووصف أبوه وجده وجد أبيــه بصفات العلم الغزير ، ويكفيه فخراً أن جد أبيه هو " عبدالله بن أبـى إسحق الحضرمى " وهو مَنْ هو عِلْماً بالقراءات والنحو واللغة ؟! لكن مــع هذا كله فلم أعثر على نص واحد يفيد بأن ليعقوب الحضرمى أبنــاء ... فقد تركت كل المراجع الحديث فى هذه الجزئية ، ولأن الذى يهمنا هــو معرفة من أسهموا فى تكوين شخصيةَ يعقوب العلمية ، أو نقلوا لنــا علمه ، فليس من المهم البحث عن أولاد يعقوب أو غير ذلك ...

وواضح مما سبق أن عائلة يعقوب تكاد توصف جميعها بالعلم الغزير ، وهذا سيكون له أثر كبير فى تكوين شخصيـة يعقوب العلمية - كمـــا سيظهر فينا بعد - لكن لم تذكر كتب الطبقات بالتحديد قبيلة يعقـــوب التى ينتسب لها ، إلا أن المشهور فى نسب قبليته أنهم موالى الحضرميين"

٤ ـ الولاء فى نسب يعقوب وقبليته :

لقد رأيت أن كثيراً من كتب التراجم درجت على ذكر لفظة " مولى الحضرميين"،أو " الحضرمى ولاء " أو مولاهم البصرى " ، ويتضح هذا من مناقشة ما يأتى :

أولا : معنى كلمة " مولى " :

ثانيا : أثرها على نسب يعقوب الحضرمى :

١ ـ أما معنى كلمة " مولى " فهو متعدد ، فالمولى هو " الولى " وهو العصبة ، ومن ذلك قوله سبحانه : " وإنّى خِفْتُ الموالى مِنْ ورائى"(١)

وقال فى هذا المعنى أيضا اللهبى الشاعر :

مَهْلاً بَنى عَمِّنَا مَهْلاً مَوالِيْنَا ... امْشُوا رُوَيْداً كما كنتم تكونونا(٢)

وقد يكون معنى المولى : الحليف ، وهو الذى انضم إليك فعز بعزك وامتنع بمنعتك ، يؤيد هذا قول عامر الخَصَفِى من بنى خَصَفة :

هم المولى وإن جَنَفُوا عَلَيْنَا ... وإنّا مِنْ لِقَائِهِمُ لَزُورُ (٣)

إذن فمِنْ معانى لفظة " مولى " ابن العم ، والحليف ، والسيد والعبد ... و ... !! فأين نسب يعقوب بين هؤلاء ؟!

---

١) مريم / ٥١ .

٢) لسان العرب لابن منظور ،طبعة دار المعارف ٢٨٩/٢٠ ، والرود : المهل وتصغيرها رويد ،والشاهد فى البيت هو استعمال لفظة " موالينا " بمعنى عصبتنا " .

٣) السابق ٢٨٩/٢٠ وما بعدها : وجنف : مال ،وزور : بمعنى:عدل عن "هنا " ،والمعنى مهما يميل حلفاؤنا فلن نلاقيهم محاربين بل سنعدل عنهم ... والشاهد هنا : هو استعمال لفظة "مولى " فى هذا البيت بمعنى : الحليف .

٢ - أثر معنى لفظة " مولى " على نسب يعقوب :

قد يكون أجداد يعقوب " حلفاء " للحضرميين ، وليسوا أقرباءهم لكن ليس لدينا أي معلومات حول ظروف هذا التحالف سياسيا ، أو اقتصاديا ، أو دينيا أو غير ذلك (١) ، والذي نعرفه أن التحالف قد يتم أحيانا بين قبيلتين قويتين أو بين ضعيفة وقوية ، ومع هذا فإنه برغم استمرار هذا التحالف ومرور الأيام عليه ، فلا يؤثر في نسب القبيلة الضعيفة (٢) ولأنه ليس لدينا أي معلومات عن قبيلة يعقوب الأصلية (٣)!!. فربما يعني هذا أن يعقوب الحضرمي يعد من صلب قبيلة الحضرميين بمعنى أنه من أبناء عمومتهم ، أي " مولى قرابة " لهم ، وأنهم نزحوا جميعا من اليمن إلى الشام ، والكوفة ، ومصر ، والأندلس و الجزيرة العربية وغيرها (٤) ؟! وأن الحضارمة - الذين منهم يعقوب على هذا الافتراض - قد تحالفوا مع قبيلة بني عبد شمس بن عبد مناف ، والمعروف أن كلا القبيلتين قوي لكن لم تذكر كتب الطبقات ظروف هذا التحالف ، وإن نصت عليه ، وبرغم عدم رفض كون يعقوب الحضرمي من أولاد عم الحضرميين إلا أن هذا لا يمكن قبوله بسهولة لما يلي :

١ - أن يعقوب الحضرمي لو كان حضرميا صِرْفاً لما نُصَّ على أنه

---

١) الجامع . تأليف محمد عبد القادر بامطرف . دار الهمداني جمهورية اليمن الديمقراطية . طبعة ثانية : ٣٢/١ ، ٣٣ ، ٣٤ .

٢) جمهرة أنساب العرب للكلبي : ١٤٥/١ . بيروت لبنان

٣) والتي ربما يكون أصلها يرجع وينتمي إلى أهل البصرة الأصليين قبل فتحها انظر حديث البلاذري الآتي فيما بعد ،وانظر : اللباب في تهذيب الانساب ،عز الدين بن الأثير الجزري . دار صادر بيروت - لبنان ١٩٨٠م ج٣٧٠/١ . وانظر : الأنساب للسمعاني :أبي سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني ت ٥٦٢ هـ ط ١ . حيدرآباد الدكن ١٣٨٤ هـ . ج ٤ / ١٨٠ - ١٨١ .

٤) تاريخ الحضارمة : ٤٣/٢ .

حضرمى بالولاء !! ، ولكنان ورد إلينا اسمه منسوبا إلى الحضرميين بدون ذكر لفظة - مولاهم - !!

٢ - أن الفرزدق عندما أكثر عبد الله بن أبى إسحاق الحضرمى من تخطئته ، وتعقبه ، أصر على أن يهجو أبا إسحق ببيت شديد الهجاء ، فهجاه بقوله :

فَلَوْ كَانَ عَبْدُ اللّهِ مَوْلًى هَجَوْتُهُ ... ولَكِنَّ عَبْدَ اللّهِ مَوْلَى مَوَالِيَا (١)

ومعنى هذا أن أجداد يعقوب الحضرمى فيهم ولاءٌ ، مزدوج(٢) أى أنهم موالى الحضرميين ، والحضرميون موالى بنى عبد شمس(٣) وفى هذا نوع من التجريح كنا ننتظر من أبن أبى إسحق ألاّ يقبله ، أو حتى يدافع عن نفسه على الأقل ، ولكنه سكت عما فى هذا البيت من معانٍ - وكأنه أقر بها (٤) - وانشغل بمحاولة تصيد خطأ للفرزدق فى بيته هذا وأرسل إليه أن الصواب أن يقول : " مَوْلى مَوَالٍ "(٥) !!! .

٣ - أن اسم " يعقوب " ليس من الأسماء العربية الشائعة الاستعمال

---

١) لهذا البيت مصادر كثيرة ويهمنا هنا أن صاحب كتاب "الجامع " السابق عندما ذكر هذه الحكاية ومعها هذا البيت قال : واتهمه أناس بأنه مولى الحضرميين .. " ٣٥/١ . وكأن (بامطرف) لا يقر هذه التهمة أو على الأقل هى عنده تهمة تحتاج إلى دليل درء ، أو دليل إثبات ...

٢) يونس البصرى . أحمد مكى الأنصارى ، دار المعارف ص ٨٧ ، ٨٨ .

٣) دراسات فى الحضارة الإسلامية . محمد بيومى هلال : ص ٦٠١ ، ٦٠٢ .

٤) ذكر السمعانى فى " الأنساب " : أن ممن ينتسبون للحضارمة بالولاء : يحيى بن أبى إسحق الحضرمى ، مولى الحضارمة ، ... وكان يحيى وعبدالله الحضرمى عمى يعقوب القارى أ. هـ " ج ٤ / ١٨٠ - ١٨١ . مطبعة الدار السلفية ، حيدرآباد الدكن ، طبعة أولى

٥) قياسا على ما نطقت به العرب فى (جوارٍ ، وغواشٍ) إذ يحذفون الياء منها عند التنوين فى الجر والرفع .
أنظر : الكتاب لسيبويه طبعة بولاق : ٥٨/٢ .

بين العرب الخلص ،وكذلك " إسحق " من أجل كل هذا وغيره ، فإن البحث سيعتمد كون يعقوب " مولى الحضرميين " بسبب الحلف ، لا بسبب القرابة ، وبذلك يمكن القول بأن الحديث عن قبيلة يعقوب ، يعنى الحديث عن الحضرميين والعكس صحيح ، كذلك ليس هناك ما يؤكد أن يعقوب الحضرمى ينتمى إلى طبقة العبيد الثالثة ولا إلى الطبقة الأولى وهم أصلاب القبيلة وأساسها ، ولكنه ينتمى إلى الطبقة الثانية وهم طبقة الموالى ، وهم الذين ينضمون إلى القبيلة تحت أى ظرف من الظروف إلتى سبق ذكرها (١) .

٥ - مولده ووفاته :

أما عن تاريخ ولادته ، فإن أكثر كتب الطبقات والتراجم نصت على أن يعقوب الحضرمى ولد سنة ١١٧ هـ ، ولم يخالف فى هذا إلا " الذهبى" فى مؤلف واحد من مؤلفاته ، إذ ذكر فى " سير أعلام النبلاء " : أنه ولد بعد الثلاثين ومائة "(٢) والصحيح الذى أرجحه أن يعقوب الحضرمى ولد سنة ١١٧ هـ ذلك لأن هذا ما عليه جمهور أصحاب الطبقات ، وأيضا لأن هذا ما أيده قولهم إن يعقوب الحضرمى مات عن ثمان وثمانين سنة فى سنة ٢٠٥ هـ ومات أيضا أبوه عن ثمان وثمانين ، وكذلك جده ، وجد أبيه ، رحمة الله عليهم (٣) .

أما عن تاريخ وفاته ، فقد اختلف المتقدمون مع المتأخرين فى تحديد السنة ، والشهر ، واليوم الذى مات فيها يعقوب الحضرمى .

فابن سعد يذكر يعقوب فى الطبقة السابعة من أهل البصرة ، لكنه يذكره مع عالم آخر ،اسمه : " أبو عامر العقدى " ويؤرخ للثانى بأنه

---

١) دراسات فى الحضارة الإسلامية : ص٦٠٢ .
٢) ١٠ / ١٦٩ .
٣) تاريخ البخارى : ٤٢٥/٥ .

توفى سنة مائتين وأربع وعشرين للهجرة (١) !! ويفهم من هذا أن يعقوب ، وأبا عامر العقدى توفيا فى يوم وسنة واحدة ، هى عند ابن سعد سنة ٢٢٤ هـ ، ويؤكد هذا الاتفاق فى سنة الوفاة وينفى تحديده بسنة ٢٢٤ هـ — خليفة بن خياط ، إذ إنه ذكر فى تاريخ وفاة يعقوب الحضرمى النص التالى : " فى سنة ٢٠٥ هـ : مات يعقوب بن إسحق الحضرمى ، وأبو عامر العقدى كلاهما مات فى يوم واحد ، أو أحدهما فى يوم ، والآخر فى الغد ..." أ . هـ بتصرف (٢) .

ويكرر خليفة بن خياط هذا النص السابق فى موضوع آخر فيقول : سنة ٢٠٥ هـ . وفيها مات عبد الملك بن عمرو أبو عامر القيسى العقدى ، وفيها ، أى : فى هذه السنة ، مات يعقوب بن إسحق الحضرمى ، هو وأبو عامر فى " جمادى الأولى " يوم " الأحد " سنة خمس ومائتين للهجرة (٣) .

وقد تبع المؤرخون اللاحقون لخليفة بن خياط رأيه فى تحديد سنة ٢٠٥ هـ لوفاة يعقوب الحضرمى ، لكنهم اختلفوا فى تحديد الشهر الذى مات فيه يعقوب الحضرمى على رأيين :

---

١) لا نعدم وجود تفاوت فى تحديدات ابن سعد لسنى وفاة الذين أرخ لهم بينه وبين بقية جمهور أصحاب الطبقات ، والمعروف أن ابن سعد تلميذ للواقدى ، والواقدى من طبقة يعقوب على رأس المائتين ، ولكن لأن الجرح قد نال من الواقدى صاحب علم ابن سعد فان البحث لن يأخذ بكلامه . انظر : سير أعلام النبلاء : ٢٥٤/٩ — وفى خلاف ابن سعد مع الجمهور . انظر : حياة محمد . محمد حسين هيكل ص ٢٧٤ طبعة الحلبى

٢) تاريخ خليفة : ٤٧٢ ، وانظر المرجع نفسه طبعة ١٩٦٨ م تحقيق سهيل زكار ، دمشق . القسم الثانى ص ٧٦٨ .

٣) طبقات خليفة : ٢٢٧ .

أولهما : رأى " خليفة " السابق :

وقد وافقه فى هذا الرأى ياقوت الحموى (١) ، إلا أن رأى خليفة ليس كامل التحديد فى ذكر الشهر نصا فقد ذكر خليفة أنه فى " جمادى " ولم يذكر هل هو " جمادى الأولى أم الثانية " ، ويتولى ياقوت مهمة تحديد هذا الشهر ، فيذكر أن يعقوب الحضرمى مات فى سنة ٢٠٥ هـ فى شهر " جمادى " الأولى ...!

ولم يعثر البحث على عدد كثير من المؤرخين الموافقين لهذا الرأى ، إذ إن بقية المؤرخين انقسموا فريقين ، فريقا أهمل ذكر الشهر ، وفريقا آخر وهو الفريق الآتى :

الرأى الآخر : وهو الرأى الذى يحدد تاريخ وفاة يعقوب بأنه فى سنة ٢٠٥ هـ فى ذى الحجة " قال ابن الجزرى : قال البخارى وغيره مات فى ذى الحجة سنة ٢٠٥ هـ وهذا يعنى أن ابن الجزرى يخالف خليفة بن خياط الذى يحدد الشهر بأنه فى " جمادى الأولى " - برأى " ياقوت " - وبالرجوع إلى نص البخارى ، الذى ذكره ابن الجزرى ونسبه إلى " البخارى " (٢) تبين النص التالى :

قال ابن حجر قال البخارى حدثنا أحمد بن سعيد الرباطى أن يعقوب الحضرمى مات فى سنة ٢٠٥ هـ وزاد بعضهم أنه مات فى ذى الحجة " !! وفى موضع آخر ذكر البخارى عن أحمد بن سعيد أن يعقوب الحضرمى مات هو وأبو عامر فى يوم واحد سنة مائتين وخمسة "(٣) .

١) كذلك ينص ابن خلكان ت ٦٨١ : بأن يعقوب مات فى جمادى الأولى ، ويقول : وهذا هو الصواب .. وفيات الأعيان ٣٩٠/٦ ومعجم الأدباء : ٥٢/٢٠ ، ٥٣ .

٢) التاريخ الكبير : ٤٢٥/٥ ، التاريخ الصغير : ٣٠٤/٢ .

٣) السابقان . وانظر ابن الجزرى : غاية النهاية : ٣٨٦/٢ وما بعدها و ١٦٩/١ ، ١٧٠ .

وليس فى هذا النص أن البخارى ذكر فعلا شهر ذى الحجة ، وإنما فقط ذكر بأن " بعضهم زاد بأنه فى " ذى الحجة " إذن فأول مَنْ ذكر شهر ذى الحجة " لكن لم ينسبه لنفسه هو البخارى ، وإنما نسبه لبعض الناس ، إلا أن الواضح أن البخارى يشك فى هذا ، والغريب أن كل المؤرخين اللاحقين للبخارى إلى اليوم أو كثيراً منهم إذا ذكروا الشهر، حددوه " بذى الحجة " وهو فى الغالب اعتماد على ما ذكره البخارى (١)، برغم أن البخارى لم يعتمده ، وبرغم أن الذاكرين لشهر ذى الحجة كثيرون إلا أن البحث لم يعتمد رأيهم لسبب واحد : ألا وهو أن نص " البخارى " ليس فيه تأييد لشهر " ذى الحجة " وأيضا فى كلام " البخارى " تأييد لكلام " خليفة بن خياط " بأن يعقوب الحضرمى مات هو وأبو عامر فى " يوم واحد " وأن من بعده لم يذكروا الشهر ، واختلفوا فى ذكر السنة بين ٢٠٥ هـ و ٢٠٤ هـ وثالث مرفوض وهو ٢٢٤ هـ التى مات فيها " أبو عامر العقدى " فى زعمهم .

إذن فيعقوب الحضرمى مات فى سنة ٢٠٥ هـ فى شهر جمادى الأولى ، أما اليوم ، فلم يحدده أحد قبل خليفة بن خياط وأشار بعض من جاء بعد خليفة بجزء من كلام خليفة فى بعض المواضع بأن أبا عامر العقدى مات هو ويعقوب فى يوم واحد ..! وقد حدد خليفة يوم الأحد هو يوم وفاة يعقوب الحضرمى وأبى عامر العقدى .

وبذا يمكن القول بأن وفاة يعقوب كانت فى يوم " الأحد " فى " جمادى الأولى " سنة خمس ومائتين للهجرة الشريفة .

---

١) وقد اتضح أن البخارى قد أحال فى هذا الأمر على سعيد الرباطى ذلك الذى أحال على مجهول اذ قال : وزاد بعضهم .. ويبقى سؤالنا اذن : من بعضهم هؤلاء ؟!

٦ - بلــــده :

لقد نصت كل المصادر التى ترجمت ليعقوب الحضرمى على أنـه ولـد ، ومات " بالبصرة " والحديث عن البصرة التى ولد وعاش فيها يعقوب سيفيد فى فهم المؤثرات التى تأثر بها يعقوب بيئية وغيرها ، خاصة وأن هـذه المدينة تعد حاضرة الدولة الإسلامية فى فترة شباب يعقوب وبقية حياتـه وبعد مماته ، وكذلك سنعرف فيما بعد هذا الجو الذي عاش فيه يعقـوب من جميع جوانبـه ...

أما البصرة فكما يفهم من معناها اللغوى ، وموقعها الجغرافـى أنها منطقة خصبة الأراضى ، كثيرة المراعى ، قريبة من المشارب ، والمحتطب (١) وهى المدينة التى أنشأها المسلمون عقب فتحهم للجزء الجنوبى الشرقـى من بلاد العراق ، وقد تم ذلك فى أرجح الروايات سنة ١٤ هـ على يد عتبـة ابن غزوان ، بأمر الخليفة عمر بن الخطاب - ض - (٢) الذى وافق عتبـة فى فتح مثل هذه الأراضى لكى تكون لجيوش المسلمين عونا على مواصلة نشـر دين الله فى بلاد الله ...

وهكذا ، ومنذ هذا الوقت ، أصبحت البصرة مدينة إسلامية وبـدأت الجيوش الإسلامية تبنى لها سكنات يستعينون بها على قِر الشتاء وحَـره ، وينطلقون منها إلى بلاد فارس وغيرها .. وبدأت منذ تلك الفترة قبائـل العرب تزداد فى البصرة بجوار أهلها الأصليين ، وقسمت المدينة خططـا تسكنها قبائل العرب ، مما ساعد على ازدياد سكانها زيادات ملحوظة حتـى القرن الرابع الهجرى (٣) .

---

١) القاموس المحيط : ٣٧٤/١ ، واللسان : مادة بصر ، دار المعارف .
٢) مدرسة البصرة النحوية : ص١٨ رسالة ماجستير بكلية دار العلوم ١٩٥٨ م عبد الرحمن السيد ص ١٨ .
٣) مدرسة البصرة النحوية ص ٢٤ .

قال د. عبد الرحمن السيد : " ومن أوائل المقيمين بالبصرة الحجاج إبن عتيك الثقفى ، وشبل بن معبد بن عبيد البجلى ، وعمران بن الحصين أبو نجيد الخزاعى ، وعوف بن وهب ... ثم وفد على هؤلاء غيرهم من العرب والموالى فامتزجوا بهم وتفاعلوا معهم ، ونشأ منهم جميعا هذا الرعيل الأول من العلماء الذين استطاعوا أن يضربوا بسهم وافر فيما درسوا من علوم .

ويوضح ما سبق من أصناف أهل البصرة وأصولهم - البلاذرى عندما يقول : وكانت فارس أقرب البلاد إلى هذه المدينة ، فكان طبيعيا أن يرحل إليها بعض أهلها .."(١) ثم يقول : وكانت توجد بالبصرة جالية أصبهانية يرجع أولها إلى صدر العصر الإسلامى .. "(٢) وفى موضع آخر يقول : " ..... وبالفرات أرضون أسلم أهلها عليها حين دخلها المسلمون ، وأرضون خرجت من أيدى أهلها إلى قوم مسلمين بهبات وغير ذلك من أسباب الملك .. "(٣)، ويعلق أ.د. عبد الرحمن السيد بقوله : ويبدو أن وجود هذا الخليط الكبير من العرب المنتمين إلى قبائل مختلفة ، والموالى فى مدينة واحدة ، كان من مقتضياته وجود فتن وخلافات ، وبخاصة فى عهد تجد فيه اشتعال نار العصبية القبلية ، وفى تحريك الثارات القديمة وهذا هو الذى أعان كثيرًا الأمويين على تثبيت ملكهم فيها (٤) .

المهم أن الله سبحانه وتعالى قد هيأ للبصرة أن تكون حاضنة لعلوم كثيرة ، منها علم النحو ، مشيدة لصرحها ، ذلك بسبب ما توفر لها من عوامل كثيرة طبيعية وغير طبيعية ، مما جعلها رائدة فى هذا المضمار،

---

١) مدرسة البصرة النحوية ص٢٤ وما بعدها .
٢) السابق ٣) السابق
٤) مدرسة البصرة النحوية : ص٢٨ " بتصرف " .

وزعيمة فى هذا المجال ، إذ إنها كانت على مقربة من البادية حيث تقع فى غربها نجد ، وتهامة ، وفى جنوبها الإحساء ومنطقة البحرين مما جعلها - وقد بلغت من الحضارة آنذاك ما بلغت منتجعا لأهل البوادى يفدون إليها .. فَيَفِيدون وُيفِيدون ...(١) . هذا بالإضافة إلى وجود مجموعة من الموالى فى ربوع البصرة ينتسبون إلى أمم ذوات فكر وحضارة وثقافة كانت من أول من اقبل على النحو وحلقاته ، حتى كانوا سبباً كبيراً فى تنشيط حلقاته ودروسه؛ درسا وتدريسا،حتى بَرّزوا فيه وصنفوا فيه المصنفات "(٢).

ولقد سبق أن ذكرنا أن يعقوب الحضرمى قد ولد فى حدود سنة ١١٧ هـ ، ومات فى حدود سنة ٢٠٥ هـ ، والمعروف أيضا أن دولة بنى أمية بدأت بتولى معاوية بن الحكم فى ٤١ هـ ، وانتهت هذه الدولة فى حدود ١٣٢ هـ ، وهذا يعنى أن يعقوب الحضرمى قد عاصر شبابه نهاية الدولة الأموية ، وبداية الدولة العباسية وهى الدولة التى قضى يعقوب بقية حياته فى عهدها ، أى أنه عاش خمسة عشر عاما فى عهد بنى أمية وعاش بقية عمره وهى ثلاثة وسبعون عاما فى عهد العباسيين .

ولقد تمتعتْ البصرة بعناية الأمويين ، وكذلك العباسيين ، وقد أفاد هذا علماءَ هذا البلد فى نشر علمهم - البعيد عن سياسة الدولة - بين ربوع البصرة ، وعقد مجالس العلم فيها ، ووفود طالبى العلم إلى هذه المجالس .

وبذا يمكن القول بأن ولادة يعقوب الحضرمى ومكوثه فيها طوال حياته ، وعدم خروجه منها قد هيأ له من العلم الجم ما جعله قبلة طلاب العلم .

---

١) أثر القراءات والقرآن دسمير نجيب اللبدى ص ٧٧ " بتصرف " .
٢) أطوار الثقافة والفكر لعلى الجندى ٤٤٣/٢ ، وكذلك : فى أصول النحو واللغة . دكتور فؤاد حنا ترزى ص ١٠٥ نقلا عن : أثر القراءات ص ٧٧ .

٧ - أخلاقـــه :

لقد سبق أن يعقوب الحضرمي ينتمي إلى طبقة الموالي وهي الطبقة الثانية في تقسيم القبيلة من حيث الشرف والسؤدد لدى فكر أهل الجاهلية، ولأن الاسلام جاء بتعاليم سامية على رأسها " إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ "(١) و " ليس لعربي فضل على عجمي إلا بالتقوى والعمل الصالح " فإنه ليس ببعيد أن يتربى يعقوب في مجتمع وأسرة تخلقت بهذه الأخلاق، أخلاق حب العلم، والتعامل بالإحسان والتقوى، والورع، لأن المجتمع الإسلامي الصحيح لا يفرق بين مولى، وغيره، بل الأساس هو العمل الصالح .

قال ابن خلدون : ومن أغرب ما صادفنا أننا وجدنا من يتصدون لحمل راية الثقافة معظمهم من الموالي وإذا كان منهم العربي في لغته فهو العجمي في نسبه، مع أن الملة عربية، وصاحب شريعتها عربي "(٢) .

وكلام ابن خلدون السابق بالطبع ليس فيه قدح في أحد، أوفي جنس لحساب جنس، وإنما هو وصف لثمرة صالحة نتيجة لتطبيق تعاليم الإسلام بطريقة معتدلة صالحة، وعليه فإن يعقوب الحضرمي يعد من هذا الثمر الطيب في المجتمع الإسلامي قال أبو القاسم الهذلي : .. لم يُرَ في زمن يعقوب الحضرمي مثله كان عالما بالعربية ووجوهها، والقرآن واختلافه، فاضلا، تقيا، ورعا، زاهدا، بلغ من زهده أنه سرق رداؤه عن كتفه، وهو في الصلاة ولم يشعر، وَرُدَّ إليه ولم يشعر، وذلك لشغله بالصلاة "(٣).

وقد أجمعت كتب التراجم والطبقات على صدق هذه الرواية، وصدق

---

١) الحجرات : ١٣ .
٢) مقدمة ابن خلدون : ٢٣٧/١، ونقل ابن خلدون حديثا نُسبَ للرسول - ص - : مولى القوم منهم .
٣) غاية النهاية لابن الجزري : ٣٨٦/٢، وسير اعلام النبلاء : ١٧١/١٠ .

مثيلاتها فى وصف حسن خلق يعقوب ، وتقواه .

ومما يتعلق بحسن خلق يعقوب أيضا هذه الموضوعية فى التعامل العلمى مع أقرانه ، والدليل على هذا ما روى من أن يعقوب كان معاصراً للقارئ الثقة أيوب بن المتوكل البصرى الصيدلانى وكانا معا ممن كونوا الطبقة الخامسة من القراء ، وكانا فيما يبدو أصحاب لقاءات علمية ، ومناظرات موضوعية فيما بينهما ويبدو أيضا أن الغلبة كانت ليعقوب الحضرمى كثيراً فى القراءات أو اللغة أو النحو .. أما علم الآثار - أى رواية الآثار عن السلف فى شتى الموضوعات . فقد حقق فيها أيوب الصيدلانى تفوقا على يعقوب ، قال ابن المتوكل : ... ما غلبت يعقوب إلا بالأثر .."(١) ومع هذا فلم يحمل يعقوب فى صدره حقدا أو بغضا لأيوب ، بل إنه روى أن يعقوب الحضرمى ذهب إلى قبر أيوب بن المتوكل بعد موته ليزوره وقال وهو على قبره : "يَرْحَمُكَ اللَّهُ يا أيوبُ ، ما تَرَكْتَ خَلْقاً أَعْلَمَ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنْكَ " .

وقد توفر ليعقوب من قوة الجاه والسلطان فى البصرة ما كان يمكنه من أن " يَحْبِسَ وَيُطْلِقَ " (٢) أى يحبس مَنْ يثبت عليهم أنهم من المفسدين فى الأرض ، ويطلق من تثبت براءتهم ، ولا يفعل هذا إلا مَنْ عَرَفَ أن الله مطلع عليه ، ولهذا فلم يثبت أن يعقوب الحضرمى قد استعمل جاهه هذا فى غضب الله سبحانه ولذلك فليس من قبيل الصدفة مثلا أن يتمتع يعقوب الحضرمى قارئا ، ونحويا ولغويا ... بحب مَنْ حوله ونصحهم له واحترامه لهم شيوخا ، وأقرانا ، وتلامذة ....

---

١) معرفة القراء الكبار : ١٤٩/١ ، تحقيق بشار عواد وآخرون ، مؤسسة الرسالة .

٢) نصت كل كتب التراجم الذاكرة لحياة يعقوب على هذا الخبر ولم ينص أى منها على أن يعقوب الحضرمى قد تولى أى منصب فى حياته ، اللهم الا تصدره للاقراء بعد أبى عمرو ، ويبدو أن مكانته العلمية صنعت له جاها يحبس به ويطلق ... " .

٨ - آراء شيوخه ،وأقرانه ،وتلاميذه فيه :

إن أى إنسان له أثره فى المجتمع ، لابد من أن يكون لمن حوله آراء فيه قدحا أو مدحا ، وهذه الآراء إذا كانت موضوعية ستكون فكرة صحيحة عن هذا الإنسان ، وهذا أمر لابد منه ولأن يعقوب الحضرمى كان قارئ أهل البصرة بعد أبى عمرو وكان إمام جامعها ، فقد تمتع يعقوب بثقة عامة الناس وخاصتهم ولا يمنع هذا من أن يكون له من شيوخه من يقسو عليه حينا ، وذلك ليس بسبب عيب فى يعقوب ، وإنما بسبب ما كان عليه طبع هذا الشيخ ، شيخ يعقوب ، إذ ذكروا أن أحمد بن حنبل وثق يعقوب الحضرمى ووصفه بالصدق ، لكن عندما سئل أحمد ، فلماذا لم تكتب عنه ؟ أجاب قائلا : تركته من أجل ابن مهدى دخل عليه يعقوب الحضرمى يوما فأغلظ له ،فتركته .. "(١) .

وتفيد هذه المقولة أن يعقوب الحضرمى كان يحترم فى أساتذته ما هم عليه من حدة فى طباعهم ، إذ إن الرواية لم تنقل لنا أن يعقوب الحضرمى قد رد على ابن مهدى برغم ما هو معروف عن ابن مهدى - برغم علمه الجم فى الحديث وتلمذة ابن حنبل على يديه - أقول برغم ما هو معروف عن ابن مهدى من حدة فى طبعه ، وقسوة على تلامذته ، ويبدو أن تلامذة ابن مهدى قد تعودوا منه هذا ، فكانوا يجلسون فى مجلسه لتلقى العلم منه ،وكأن على رؤوسهم الطير (٢) ،ولذلك قلنا أن نقول إن هذا - فى يعقوب - يجب أن يوضع تحت قولهم : حسنات الأبرار سيئات المقربين " !!

وسأكتفى بهذه القصة حول آراء شيوخ يعقوب فيه ،لأحيل إلى كتب التراجم ففيها مدح فى يعقوب وهو أهل له .

---

١) تاريخ بغداد : ٢٦/٤ ،مطبعة دار الكتب العلمية - بيروت فى ترجمة أحمد ابن اسحاق بن زيد .. الحضرمى - وللعلم فان الخطيب لم يفرد ليعقوب الحضرمى ترجمة ،وعليه فإنه لا يُعَدّ مِمَّنْ قَدِموا بغداد .. ".

٢) حلية الأولياء ٧،٦،٥،٤/٩ وما بعدها شرح علل الترمذى لابن رجب :١٩٦/١

- ولقد كان الأخفش ممن عاصروا يعقوب الحضرمي ، وإن كان الأخفش قد اشتهر بآرائه النحوية ، ويعقوب بعلمه الجم في القراءات ، ومع هذا ، فقد كان الأخفش سعيد بن مسعدة يحترم في يعقوب العلم والصدق ، ويتدخل بسرعة إذا وجد في تلامذة يعقوب نوعا من التدلل على شيخهم فيشتد عليهم وهذا ما فعله الأخفش مع أبي حاتم السجستاني تلميذ يعقوب الحضرمي عندما بدأ أبو حاتم يناقش شيخه فيما يرويه فيقول له الأخفش : يا رَأْسَ البَغْلِ تَأْبَى أَنْ تَعْلَمَ ما يُعَلِّمُه المشايخ ؟!! "(١).

أما أقران يعقوب المجاورون له في البصرة ، أو الذين وفدوا عليها في حياته فكثيرون ، وليس بينهم واحد تناول شخصية يعقوب ، أو علمه بتجريح أو بغيره ...

إلا أن تلامذته كانوا أكثر الناس مدحا لشيخهم يعقوب - بصدق - ، وحتى في منامهم فهم متعلقون به ، قال ابن الجزري : قرأت على الإمام محمد بن عبد الرحمن عن محمد بن أحمد المعدل ، أنا علي بن شجاع ، أنا أبو الجواد ، أنا ناصر بن الحسن ، أنا طاهر بن غلبون قال : بلغني أن أبا عثمان المازني قال : رأيت النبي - ص - قرأت عليه سورة طه فقرأت : مكانا سِوى . فقال اقرأ : سُوى اقرأ قراءة يعقوب .."(٢)!!

ولهذه الرؤيا مثيلات كثيرات، كانت من التلاميذ في شيوخهم في تلك الأيام ، حدث هذا مع أبي عمرو من تلامذته وكثيرين غيره وليست هذه الرؤيا من المازني شيئا ليس له دلالته ، بل إنها لتدل على مدى تعلق الناس بيعقوب ، وبقراءته ، يصدق هذا ما يقوله ابن الجزري من أن أهل البصرة تفرقوا أيام الزنج ، وأهل المسجد الجامع بها يجردون ليعقوب وأهل القبائل لأيوب ، وعلى قراءة يعقوب أئمة المسجد الجامع بها إلى هذا الوقت وكذلك أدركناهم " .

---

١) إنباه الرواة : ٥٨/٢ .
٢) غاية النهاية : ٣٨٦/٢ وما بعدها . وهذه القراءة سبعية ، وليست ليعقوب فقط بل هي لغيره ..

ويستمر تعلق الناس عامتهم ، وخاصتهم بيعقوب حتى بعد مماتـــه ، فيقولون فيه شعرا مادحين له ،ولقراءته ،يؤكد هذا قول الأهوازى : أنشدنى فى يعقوب الحضرمى ،أبو عبدالله محمد بن أحمد اللالكائى لنفسه :

أَبُوهُ مِنَ الْقُرَّاءِ كَانَ وَجَدُّهُ ... وَيَعْقُوبُ فِي الْقُرَّاءِ كَالْكَوْكَبِ الدُّرِّ
تَفَرُّدُهُ مَحْضُ الصَّوَابِ وَوَجْهُـــهُ ... فَمَنْ مِثْلُهُ فِى وَقْتِهِ وإِلى الْحَشْـرِ (١)

ويستمر رأى الثقاة فى يعقوب ، وفى قراءته بالمدح والثنـــاء والتوثيق ، والقبول ، فيعتمدون قراءته – بجانب غيرها – فى مؤلفاتهم لغة ، أو نحواً ، أو فقها أو تفسيراً ، يؤكد هذا أن البغوى أبا محمد بن مسعود الفراء الشافعى ت ٥١٦ هـ ، قد اعتمد قراءة يعقوب الحضرمى فى تفسيره الموسوم ب " معالم التنزيل " بجانب القراءات الأخرى التى فسر على أساسها كتاب الله سبحانه (٢) .. ويتعلق بهذه الفكرة الأخيرة حديث – يؤكدها – حول يعقوب وعلمه .

٩ – علمـــه :

لقد نقلت كتب الطبقات أوصافا كثيرة ليعقوب ،وكلها تذكر يعقوب بالمدح والثناء ، وتصفه بالعلم الغزير ، ولأن ما قيل فى وصف يعقوب بالعلم الغزير أكثر من أن تكفيه السطور الآتية ،فإننى سأكتفى بقولهم

---

١) لقد نقل هذين البيتين كثير من أصحاب التراجم ليمدحوا بهما يعقوب ويبدو أن هذين البيتين من قصيدة طويلة اسمها "الرائية" يقـال إن مؤلفها اللالكائى ،ومطلعها :
لك الحمد ياذا المن والجود والبر.. كما أنت أهل للمحامد والشكر
وقد روى هذه القصيدة كلها وهى ١١٥ بيتا الأهوازى فى البطائح سنة ٣٨٦ راجع غاية النهاية : فى ترجمة محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالله بن يعقوب بن على أبو عبدالله اللالكائى المقرئ : ٢/ ٨٥ ، ٨٦ .

٢) الذى دفعنى إلى النص على البغوى بعينه هو أنه نص بنفسه على هـذا فى مقدمة كتابه ، ولكن الحقيقة أن كثيراً من كتب التفسير الأخرى قد تعرضت لقراءة يعقوب الحضرمى .

فيه : أنه كان أعلم أهل زمانه ، وهو من أهل بيت العلم بالقراءات ، وَالعربية ، وكلام العرب ، والرواية الكثيرة للحروف ، والفقه ، وكان من أقرأ القراء (١) ، وكان إماما حافظا مجودا (٢) ، وكان أعلم من أدرك أهل عصره بعلل القرآن ومذاهبه ، ومذاهب النحو ، وكان لا يلحن في كلامه - وكان أبو حاتم من بعض غلمانه ، تصدر للإقراء و التحديث وحمل عنه خلق كثير ... "(٣)

وطبيعى أن تكون هذه الأوصاف من حظ من هم مثل يعقوب في علمه ، وطبيعى أن تجد كثيرا من العلماء المماثلين ليعقوب سابقين له ، أو لاحقين أو معاصرين ، تقال فيهم هذه الأوصاف ، لكنها على كل حال لا تقال في أى انسان !!

ولقد كان ما وصف به يعقوب من علم وافر نتيجة طبيعية لأمور كثيرة ومن هذه الأمور رغبته في تعلم العلم ، ومنها تخرجه في أسرة كل من فيها علماء ، فأبوه ، وجده وجد أبيه ، وأعمامه ، وأولاد أعمامه كل هؤلاء (٤) كانوا من الأسباب المعينة ليعقوب على طلب العلم ، وبذله للناس ، كذلك شيوخه - على كثرتهم - كانوا أيضا سببا لما هو فيه وعليه من علم ، من أجل هذا فقد تمثل علم يعقوب السابق الوصف ، في هذه القراءة الصحيحة للقرآن الكريم ، والتى اتصفت بسمة الصحة والتواتر من جهة ، ومن جهة أخرى فهى من الناحية اللغوية تعد أنموذجا صحيحا جزئيا في علم العربية ، يدل على ذلك انتشارها في كتب النحو واللغة كما سيأتى .

أيضا فان علم يعقوب ليس متمثلا في روايته لهذه القراءة فقط ، لأن هذا ليس فيه صفة مدح كثيرة ، لأن عقله لم يتدخل فيها اللهم إلا

---

١) وفيات الأعيان : ٣٩٠/٦ .
٢) سير الاعلام النبلاء : ١٦٩/١٠ .
٣) طبقات الزبيدى : ص ٥٤ ، ومعرفة القراء الكبار : ١٥٧/١ .
٤) سيظهر هذا فيما بعد عند التعرض لشيوخ وتلاميذ يعقوب .

روايتها كما سمعها ، ولكن علم يعقوب وجدناه أيضا متمثلا فى آرائــه التى قالها هو ، أو التى رواها عن الآخرين مؤيدا لها أو معارضـا ، أو معلما لتلامذته إياها .

ولقد كانت ليعقوب الحضرمى طريقته العلمية فى تعليم طلابه العلـم تميزت هذه الطريقة بكل دقة ، وعناية تربوية تلحظ هذا فيما يلـى :

١ - أنه كان يحفّظ طلابه القرآن ، وبجانب هذا فقد كان يحفظهـم أيضا عدد آياته سورة سورة على حسب رأى كل مذهب ، إذ إن آيات كـل سورة تختلف من قارىء لآخر حسب ما روى .

يؤكد هذا قول أبى جعفر النحاس ... وسمعت محمد بن أحمد بـن أيوب - يعرف بابن شنبوذ - يقول : كان يعقوب ابن إسحاق الحضرمى إمـام أهل البصرة فى عصره فى القراءة ،كان يأخذ أصحابه بعدد الآى ،فـإذا أخطأ أحدهم فى العدد أقامه . قال ابن شنبوذ : حدثنى بذلك أحمد بـن محمد بن شيبة العطار البصرى قال حدثنا بذلك محمد بن شاذان الطيالسى البصرى ،وكان أكبر رجال يعقوب الحضرمى ... "(١)

٢ - يتعلق بما سبق ذكره حول علم يعقوب موضوع لابد من رصده هنـا هذا الموضوع هو أمانة يعقوب العلمية فيما تعلمه وأخذه عن شيوخه وفيما يبلغه ويعلمه تلاميذه الذين ينقلون العلم عنه ، ويكتبونه إذ إن نشأة يعقوب فى بيت علم متنوع كون شخصيته تكوينا ليس فيه اعوجاج وربـاه على الصدق فيما ينقله من آراء ،وروايات ،وتحرى الدقة فى نقل العلـم وتبليغه للناس كما ثبت عنده دون تزيد ،أو تحريف ،أو نقصان يظهر هـذا عندما يقرأ يعقوب قوله تعالى : " والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهـو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد " (٢) .

١) القطع والائتناف . تصنيف أبى جعفر النحاس . تحقيق د.أحمد خطـاب العمر . مطبعة العانى بغداد ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨م ،٧٦/١ .

٢) سورة فصلت ٤٤ .

ويعلق يعقوب ابن إسحاق الحضرمى على قراءة لفظ : "عَمًى" فيما ينقله أبو حاتم بقوله : لا ندرى نونوا أم فتحوا " (١) أى: قرؤه فعلا ماضيا وأما تنوينه فعلى أساس أنه خبر مرفوع بضمة مقدرة منع من ظهورها التعذر الذى جلبه التنوين على الألف المقصورة حالة الرفع ..

إذن فيعقوب الحضرمى ليس من هؤلاء الذين يقولون العلم من منابع التكبر والعظمة التى تدفعهم إلى الكذب والافتراء واختلاق الشواهد ، والوقائع المصنوعة ليظل لهم مكان الصدارة فى كل مجلس وناد ،لأنهم يخافون أن يقولوا : لا ندرى ،إذا سئلوا . لكن لأن يعقوب يعرف قيمة : لا أدرى إذا وجبت وأن مَنْ قال لا أدرى فقد أفتى " فقد قالها فى حينها ، وما حدثته نفسه قط بنقيصة ستحمل عنه ، لأن نفسه اللوامة حاضرة معه طاردة لتلكم الامارة ،ولذلك سيجد القارىء لما روى عن يعقوب أنه أمام رجل من البشر يصدق فى نفسه أنه من هؤلاء الموضوعيين الذين يخطئون ويصيبون ،ولذلك فهم لا يكفون عن البحث عن العلم إلى آخر نَفَس من أنفاسهم .

٣ - أن يعقوب الحضرمى لم يكن كغيره فى تعليم طلابه العلم وليس هذا ذما لغيره - بالطبع - لكنه كان لا يأخذ من طلابه أجرا لتعليمهم العلم فى الوقت الذى كان أقرانه - لضيق ذات يدهم - يتقاضون أجرا نظير تعليمهم لتلامذتهم أو للناس العلم ، يؤكد هذا ما كان من الأخفش مع كل من المازنى ،وأبى عمر الجرمى إذ إن أبا عُمَر الجرمى كان موسرا ، وكان المازنى معسرا ،وخاف كل منهما أن يدّعى الأخفش كتاب سيبويه لنفسه ، لأن كل طرق الكتاب تُنْسَب إلى الأخفش ،ولذلك اتفق أبو عُمَر الجَرْمى مع المازنى على أن يبذل الجرمى بعضا من ماله إلى الأخفش ،ويقوم الأخفش باقرائهما كتاب سيبويه وبذلك يتحقق أمران مفيدان ، أولهما : عدم نسبة

---

١) البحر المحيط : ٢/٧ : ٥ .

الأخفش كتاب سيبويه لنفسه - الثاني : تعلمهما الكتاب على يد هذا العالم " (١) وتفيد هذه القصة في أن الأخفش كان إذا علم علما أخذ عليه أجرا ، وليس هذا بالأمر المرفوض قطعا ،لكن يعقوب الحضرمي يصنع غير هذا تماما ،إذ إنه كان يكافئ تلامذته من ماله اذا وجد فيهم اقبالا على العلم ،أو نبوغا فيه وقد نقل المبرد قصة يعقوب الحضرمي عندما كافأ تلميذه المازني قال المبرد قال المازني :قرأت على يعقوب بن إسحاق الحضرمي القرآن فلما ختمته رمى الى بخاتمه وقال : خذه ليس لك مثل !! (٢) .

ولهذه القصة أيضا ما يؤيدها من واقع علاقة يعقوب بتلامذته ، روى القفطي : أن أبا حاتم لما ختم على يعقوب الحضرمي القرآن رمى إليه هذا الأخير بخاتمه وقال أقرئ الناس !! ،وقيل إن أبا حاتم ختم على يعقوب الحضرمي القرآن سبع ختمات ،وقيل خمسا وعشرين ختمة ،فأعطاه خاتمه ،وقال له أقرئ الناس !! "(٣) .

ومن أراد المزيد حول علم يعقوب وآرائه اللغوية والنحوية والتفسيرية ،فليراجع كتاب " القطع والائتناف " لأبي جعفر النحاس ففيه من علم يعقوب ما يضيق المقام عن ذكره .

١٠ - مؤلفاته :

وتنقسم إلى نوعين ،نوع لم يكتبه بخط يده ولم يسجله ،وإنما رواه تلامذته عنه وضمنوه كتبهم ،وهو كل ما قاله يعقوب الحضرمي من آراء

١) انظر : مقدمة كتاب الأخفش "معاني القرآن " :٥١/١ نقلا عن كتاب النزهة للانباري : ص ١٤٣،١٣٤ ،والجرمي هو : أبو عمر صالح بن اسحق الجرمي أخذ النحو عن أبي الحسن الأخفش ولم يلق سيبويه وتوفي في ٢٢٥ هـ .
٢) التصريف لأبي عثمان المازني . تحقيق د. عبد الرحمن شاهين ص ١٥٨ .
٣) انباه الرواة للقفطي : ٢٤٨/١ .

فى تفسير القرآن أو فى النحو أو الصرف أو الأصوات - وكذلك اختياره فى قراءته .

والنوع الثانى : هو المقصود بمؤلفاته حقيقة وهو ما ألفه يعقوب الحضرمى وكتبه ، ونقل أنه من مؤلفاته لكن من الغريب العجيب أن مؤلفات هذا الرجل كانت قليلة جداً إذا قيست بآراء السابقين فيه وفى علمه ...... وهذه المؤلفات هى :

١ - الجامع : وهو كتاب جمع فيه يعقوب عامة اختلاف وجوه القرآن ونسب كل حرف إلى من قرأ به (١) .

٢ - وجوه القراءات : ويبدو أنه مأخوذ من الكتاب السابق ومختصر عنه (٢) .

٣ - الوقف التمام : (٣) والحديث عن هذا الكتاب يفهم من حديث أبى جعفر النحاس حول هذا الكتاب فى سفره القطع والائتناف " وقد فهم أن كتاب " وقف التمام " الذى اطلع عليه أبو جعفر النحاس ٣٣٨ هـ هو أحد كتابين فى هذا الفن . فن الوقف ، هذا أحدهما والثانى لنافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم المدنى " قال أبو جعفر .. ولا أعلم أحداً من القراء الأئمة الذين أخذت عنهم القراءة له كتاب مفرد فى التمام إلا نافعا ويعقوب فإنى وجدت لكل منهما كتابا فى " التمام " وعنوان الكتاب يدل على محتواه المتعلق بمواضع الوقف فى آيات الكتاب العزيز ، وقد صنفه يعقوب فيما يبدو ، ليبين به مواضع الوقف الكافى ، والتام والحسن و .... " وكذلك مواضع القطع ، وقد نقل عنه أبو جعفر النحاس كثيرا وتتبع فيه هذه المواضع التى رآها يعقوب واختارها بالنقد والفحص

---

١) غاية النهاية : ٢/٢٩٠   ٢) السابق .

٣) السابق ، وانظر : القطع ١/٧٥ ، ومنار الهدى فى بيان الوقف والابتداء ، تأليف أحمد بن محمد بن عبد الكريم الأشمونى ، ص ١٣ . نشر دار المصحف . دمشق .

والتصويب والتصحيح ، كما سبق ، وليس بين أيدينا الآن واحد من هذه الكتب بل يبدو أنها ما تزال مفقودة .. أما الكتب التى ألفت فى قراءة يعقوب فهى المفردات التى ألفها السلف فى القراءات وأصحابها ويبدأ هذه المهمة أبو عمرو الدانى (١) .

حيث ألف " مفردة يعقوب " ويبدو من عنوان هذا الكتاب أنه مؤلف أصلا فى قراءة يعقوب ليس غير وهذا نظام اتبعه السلف وتابعهم الخلف فيه ومنهم :

١ - ابن الفحام حيث ألف هو الآخر مفردة يعقوب (٢) .

٢ - وأبو محمد عبد البارى بن عبد الرحمن بن عبد الكريم الصعيدى ، ت ٦٥٠ هـ " مفردة يعقوب " أيضا (٣) .

ومن المنظومات التى ألفت فى قراءة يعقوب أيضا منظومة ألفها أبو حيان النحوى الأندلسى ، وقد ألف هذا الرجل هذه المنظومة كما فعل غيره إلا أنه أفاد منها عن طريق النقل عنها فى مؤلفاته .بخاصة " البحر المحيط ". والذى يبدو أن محتوى هذه المنظومة ، وهذه المفردات يتناول أصول قراءة يعقوب وفرشها بالشرح والتنظيم ولها فوائد أخرى وعلى رأسها تسهيل حفظ قراءة يعقوب ، حتى يسهل قراءة القرآن بها على الناشئة وغيرهم وقد سمى أبو حيان مؤلفه بـ " غاية المطلوب فى قراءة يعقوب " (٤) .

أما عن وجود هذه المؤلفات الآن فإنى لم أعثر على أيٍّ منها بعد

---

١) النشر : ٦٠/١

٢) النشر : ٧٧/١ .

٣) النشر : ٩٨/١ .

٤) النشر : ٣٠٢/١ ، ٣٠٣،وانظر كتاب : أبو حيان النحوى تأليف د. خديجة الحديثى ص٢٤٧ ، منشورات مكتبة النهضة ، بغداد ، وانظر : نكت العميان : ص٥٨٣ ، والبدر الطالع : ٢٨٩/٢ .

البحث عنها فى فهارس المخطوطات وفى أغلب المطبوع الميسر الاطلاع علـــــــى فهارسه مما دفعنى أن أحكم عليها بأن الضياع قد لفها كما لف مؤلفــــــات يعقوب الحضرمى نفســـه .

أما المؤلفات التى وصلت مخطوطة أو مطبوعة فى قراءة يعقوب فهــــى تلكم المؤلفات التى تتحدث عن قراءة يعقوب الحضرمى وقراءة آخرين أمثـــال كتب ابن الجزرى وغيره فى القراءات العشر والكتب التى ألفت فى الثلاثـــة القراء المكملين للعشرة " أبو جعفر ، ويعقوب ، وخلف أو مقارنـــات " بين قراءة نافع ويعقوب " وهذه الكتب مطبوعة وميسرة [1] وهى ونظيراتها من الكتب التى لم تقتصر على قراءة يعقوب فقط بل ضمت إليه بعض قـــراء آخريـــن ...

* * *

١) ومنها ما يزال مخطوطا حتى الآن .

الفصـــــل الثانـــى

قراءة يعقوب بن إسحـــق الحضرمـــى

فى هذا الفصل مايلى :

1) أثر كتاب " السبعة " علـى ترتيب يعقوب بين القراء.

2) تجريح يعقوب وتعديلـــه .

3) قراءة يعقوب الحضرمى ومكانتها من القراءات .

4) سند يعقوب الحضرمى فى قراءته .

5) طرق قراءة يعقوب الحضرمى.

6) شيوخ يعقوب .

7) تلاميـــذه .

١) أثر كتاب " السبعة " على ترتيب يعقوب بين القراء :

لقد ذكرت فيما مضى أن القراء فى الأمصار الإسلامية كانوا كثيرًا ، ... كثيرًا فى العدد ، كثيرًا فى الاختلاف ..."(١)

وكان يعقوب الحضرمى واحدًا من هؤلاء المُبَرّزين المشهورين بالقراءة بعد أبى عمرو بن العلاء ، إذ إنه أصبح مقرئ البصرة بعد أبى عمرو ، وإذا ذُكر قراء البصرة المعدودون ذُكِر يعقوب الحضرمى بعد أبى عمرو وكانت البصرة واحدة من عدة أمصار إسلامية مملوءة بالقراء الثقاة مثل : مكة ، والمدينة ، والكوفة ، وغيرها .

ولانعدم أن نجد كتبا كثيرة ألفت فى جمع عدد كثير من هؤلاء القراء(٢) وقد يضم الكتاب أكثر من خمسة عشر قارئا ، وقد يضم الكتاب من هذه الكتب خمسة قراء فقط (٣) ولم نجد نصا فى هذه الكتب يشير إلى أن يعقوب الحضرمى ليس بين من ضمنتهم هذه الكتب التى جاءت بعد يعقوب الحضرمى ، بل العكس هو الصحيح ...

لكن الآراء تضاربت حول مكانة يعقوب الحضرمى من القراء بعد تأليف كتاب " السبعة فى القراءات " لابن مجاهد ت ٣٢٤هـ(٤) ، بناء على تفصيل موجز فى النقاط التالية :

أ - سبب تأليف هذا الكتاب .

ب - ظروف تأليفه .

جـ - النتائج التى ترتبت على تأليف هذا الكتاب .

أ - إن سبب تأليف هذا الكتاب ليس خفيا ، لأننى ذكرت فيما مضى

---

١) الإبانة : ٤٨ والنشر : ٣٤/١ .
وانظر ص من هذه الرسالة .

٢) أول من ألف فى القراءات أبو عبيد القاسم بن سلام - على رأى ابن الجزرى ألف كتابا جمع فيه خمسة وعشرين قارئا مع هؤلاء السبعة ت ٢٢٤هـ .

٣) وهو كتاب أحمد بن جبير الكوفى ت ٢٥٨ هـ .

٤) الإمام الحافظ الأستاذ أبوبكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمى البغدادى ت ٣٢٤ هـ ، عرف بالزهد والتقشف والعلم .
راجع فى ترجمته : كل ما أحال عليه د. شوقى ضيف فى مقدمة كتاب "السبعة" ص ٣ .

أن كثرة القراء فى القرن الثالث ، ومنهم الضابط لما يروى ويقرأ ، ومنهم غير ذلك ، وكذلك انتشار من لاعلم لهم بين صفوف القراء(١)، وكذلك احتدام الخلاف بين عامة المسلمين آنذاك ، كل هذه الأسباب وغيرها قد دفعت الغيورين على كتاب الله وقراءاته إلى محاولة ضبط المسألة ، وتمييز الغث من السمين ،وجمع المسلمين على عدد محدد من القراء . ولن يتأتى هذا إلا بإصدار كتاب رسمى يحتوى على هذا العدد ،ويلتزم الناس بما فيه. وقد كان أبوبكر بن مجاهد ت ٣٢٤ هـ عالم عصره فى علم القراءات مؤهلا للقيام بتأليف هذا الكتاب .

أ - جاء فى مقدمة كتاب " مختصر البديع لابن خالويه : أن ابن مجاهد - شيخ ابن خالويه - قد أقنع الوزير ابن مقله (٢)بأن يؤلف كتابا فى القراءات يكون للناس اماما "(٣) وفعلا نجح ابن مجاهد فى تأليف هذا الكتاب وأسماه " السبعة فى القراءات " ضم فيه سبعة قراء فقط هم :
أبو عمرو بن العلاء من أهل البصرة ،وحمزة وعاصم من أهل الكوفة ،وسوادها والكسائى من أهل العراق ، وابن كثير من أهل مكة ،وابن عامر من أهل الشام ونافع من أهل المدينة (٤)، وكلهم ممن اشتهرت أمانته وطال عمره فى الاقراء ، وارتحال الناس إليه من البلدان " (٥)

ج - والملاحظ على هذا الكتاب أنه ضم فقط سبعة قراء ،وأنه ألزم الناس بهم دون غيرهم وتأتى الزام الناس،من كون هذا الكتاب قد أخذ

---

١) الابانة فى معانى القراءات . مكى بن أبى طالب حموش القيسى تحقيق د. عبدالفتاح شلبى ،القاهرة ،مطبعة الرسالة ص ٤٧ ،٤٨ .
٢) هو الوزير أبو على محمد بن على بن مقلة ،كان بارعا فى علوم كثيرة منها علم الخط ،وكان هذا الوزير يقوم بامضاء الرقاع التى يكتبها لنه أخوه أبو عبدالله الحسن بن على بن مقلة ،وكان أبو على له ميول سياسية ، وخبرة بها ،فقد عمل وزيرا ، للمقتدر فى سنة ٣١٦ هـ ، وللراضى فى سنة ٣٢٢ هـ ،ومن المعروف أن ابن مجاهد قد عاش فى الفترة الممتدة من ٢٤٥ هـ الى ٣٢٤ هـ وهى تاريخ وفاته ،ولاتعرف بالتحديد متى ألف ابن مجاهد كتابه هذا الا أنه قيل انه ألفه على رأس المائة الثالثة ، أو بعدها بقليل " راجع ترجمة ابن مقلة فى : وفيات الأعيان : ٥/١١٥-١١٨ ، ومعجم الأدباء : ٩/٣١ .
٣) مقدمة مختصر البديع : ص ٧ ، المطبعة الرحمانية سنة ١٩٣٤هـ،لابن خالويه .
٤) توفى أبو عمرو بن العلاء فى حدود ١٥٤ هـ ، وحمزة : ١٥٦ هـ وعاصم فى : ١٢٧ هـ والكسائى فى ١٨٩ هـ وابن كثير ت ١٢٠ هـ وابن عامر ١١٨ هـ ، ونافع ت ١٦٩ هـ .
٥) الابانة : ٤٧ ومابعدها ، النشر ١/٣٣ ومابعدها .

صفة رسمية ، اذ إن الوزير ابن مقلة قد وافق عليه ، وأن أى نشاط قرائى غير ما احتوى عليه كتاب السبعة ليس له أى صدارة ، أو قبول ، أو انتشار[1] ،وأهم مايلاحظ على الكتاب أيضا أنه لم يحتو على يعقوب الحضرمى وبعض آخر من القراء الثقافة . وبناء على هذه الملاحظة الأخيرة ،والملاحظة الأولى ،فان كثيرا من العلماء أعطوا لأنفسهم الحق فى مهاجمة هذا الكتاب ونقده ،والتهوين منه . فمن قائل ان ابن مجاهد هو السبب فى جعل العامة تخلط بين المقصود من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم :" أنزل القرآن على سبعة أحرف" وهؤلاء السبعة الذين وردوا فى كتاب ابن مجاهد ،ظنا منهم أن الرسول يقصد السبعة القراء الذين فى كتاب ابن مجاهد ، برغم أن رسول الله -ص- لم يقصد هذا أبدا ، اذ ان هؤلاء القراء لم يعاصر واحد منهم رسول الله (ص) [2] ولكن رسول الله قصد الاشارة الى أن القرآن الكريم نزل بقراءات كثيرة .[3]

والحق أننا لانستطيع رد هذا الهجوم عن ابن مجاهد لأن فيه من الحقيقة الشئ الكثير ،وبرغم أن ابن مجاهد لم يقصد مافهم الناس من الحديث الا أن اسم كتابه - السبعة - ومحتواه ،سبعة قراء ، كانا بحق - وراء خلط العامة فى فهم حديث الرسول صلى الله عليه وسلم[4] .

---

١) منع ابن مجاهد ابن شنبوذ ،وابن مقسم من القراءة ورفع أمرهما الى القضاء بسبب عدم تحقق شروطه على قراءتهما . انظر فى هذا : مقدمة كتاب" السبعة" ص ١٤ ،١٥ .

٢) النشر : ٣٣/١ ،٣٤ ومابعدها .

٣) السابق وانظر أيضا أكثر المراجع التى أحلينا عليها فى أثناء ترجمتنا ليعقوب الحضرمى ،مثل سير اعلام النبلاء ،وطبقات القراء وغيرهما

٤) " أنزل القرآن على سبعة أحرف " ولهذا الحديث عدة روايات أخرى أحلت عليها فيما مضى فى ص - ٩ - وانظر : فتح البارى لابن حجر العسقلانى ٦٣٩:٨ طبعة الريان ،والفتاوى الكبرى ١٨٧/١ ومسند أحمد ١١٤/٥-١٢٢ وسلسلة الأحاديث الصحيحة للألبانى ١٤٩٦/١ وانظر المبحث الكامل حول روايات هذا الحديث فى : تاريخ القرآن للدكتور عبدالصبور شاهين " آخر مبحث ".

لذلك رأى بعض العلماء أنه كان ينبغى على ابن مجاهد أن يجعل كتابه محتويا على أكثر من سبعة قراء ،أو حتى أقل .(١)

وتحقيقا لهذا ،ألف بعضهم كتبا احتوت على ثماني قراءات أو خمس قراءات ، أو ست ، أو خمس عشرة قراءة(٢)...الخ وأول مايلاحظ على هذه الكتب أنها عمدت إلى وضع يعقوب الحضرمى مع هؤلاء القراء ليكونوا ثمانية قراء ... وبناء عليه اتُّهم ابن مجاهد أنه ظلم يعقوب الحضرمى لأنه لم يضعه ضمن القراء الذين ألزم الناس بهم ،والذين اكتسبوا شهرة ،وانتشرت قراءتهم بسبب وجودهم فى هذا الكتاب الرسمى .." السبعة "(٣)

بل إن من العلماء من قال إن القراء كانوا سبعة وكان سابعهم يعقوب الحضرمى ، لكن ابن مجاهد جاء على رأس المائة الثالثة فأثبت الكسائى مكان يعقوب .(٤)

ومن الناس من ذكر أن الكسائى لم يكن أصلا ضمن القراء المشهورين إلا أنه أضيف اليهم فى زمن " المأمون " الخليفة العباسى ، وكان الثابت المشهور بين القراء هو يعقوب الحضرمى ..(٥)

ولانستطيع أن ننكر فضل الكسائى على " المأمون " لأنه أستاذه ،فلا عجب أن يحفظ المأمون فضل أستاذه عليه ،ويحاول نشر قراءة أستاذه بكل الوسائل لكن كيف نقبل قولهم : إن ابن مجاهد ،هو الذى أثبت الكسائى وخلع

---

١) راجع فى هذا : مباحث فى علوم القرآن ، مناع القطان ، مكتبة وهبة ، ص ١٤٩ ومابعدها .

٢) النشر : ١/٣٣ وما بعدها .

٣) السابق،وقد أكثر ابن الجزرى من ذكر امثلة كثيرة لهؤلاء القراء وكتبهم فى ص ١/٣٤ .

٤) سير أعلام النبلاء :١٠/١٩٦ وما بعدها .

٥) هذه رواية مكى بن أبى طالب فى هذا الشأن ،ومن المعروف أن المأمون ت ٢١٨ هـ ،وتوفى ابن مجاهد ٣٢٤ هـ ،فكل منهما لم يعاصر الآخر مما يدل على اختلاف الروايتين اللهم الا أن نقول ان ابن مجاهد اقر أمرا اختاره العباسيون من قبل على أيام المأمون ولابد من القول بأن ابن مجاهد كان محايدا تماما لانه وضع شروطا اختار بناء عليها قراءات الذين وضعهم فى كتابه (السبعة) - راجع مفتاح الكرامة : ٢/٣٩٢ ، والإبانة ص ٤٨ .

يعقوب ؟ وأن يعقوب كان من القراء السبعة قبل ابن مجاهد؟
إن التهمة الثانية ليست منطقية ، حيث إنها تنص على أن العدد " سبعة كان موجودا قبل ابن مجاهد برغم أن ابن مجاهد في رأيهم كان سببا في خلط العامة في العدد " سبعة " الوارد في الحديث الشريف .(١)

وعلى فرض صحة قولهم إن ابن مجاهد هو الذي خلع يعقوب الحضرمي من القراء المشهورين – سبعة ، "أو غير سبعة – فإن الرد على هذا مأخوذ من منهج ابن مجاهد في تأليف كتابه ، لأنه وضع مقاييس لمن سيضمهم كتابه ، ومن لم تنطبق عليه هذه المقاييس فإنه لم يضمنه كتابه ، وكانت مقاييس ابن مجاهد كالتالي :

١) "أن يكون القارئ مجمعا على قراءته من قبل أهل مصره .
٢) أن يكون هذا الإجماع قائمًا على أساس من توفره على العلم بالقراءة ، واللغة توفرًا يدل على أصالة وعمق "(١)

وليس هناك سبب يدعو ابن مجاهد إلى إقصاء يعقوب الحضرمي وتثبيت الكسائي حتى ولو كانت قراءة الكسائي الكوفي أقرب إلى قلب العباسيين – الذين وافقوا على تأليف كتاب السبعة – من غيرها . أقول ليس هناك سبب يدعو ابن مجاهد إلى هذا إلا تطبيقه لشروطه المتشددة ، بكل دقة بالغة وأمانة .

ولابأس من وصف شروط ، أومقاييس ابن مجاهد بالتشدد ، لأن العلماء اللاحقين لابن مجاهد (٣)حاولوا إيجاد شروط أكثر مرونة ، لتتسع كتبهم

---

١) النشر : ١/٣٥ .
٢) الابانة : ٤٧ ومابعدها ، مقدمة كتاب السبعة .
٣) جاء بعد ابن مجاهد تلميذه ابن خالويه في ت ٣٧٠ هـ : وكان مقياسه : "أ – مطابقة الرسم ، ب – موافقة العربية ج – تواتر نقل القراءة . وجاء بعده مكي بن أبي طالب ت ٤٣٧ هـ بشروط أخرى هي : أ – قوة وجه القراءة في العربية ب – مطابقة الرسم ج – اجتماع العامة عليها . وجاء بعده الكواشي ت ٦٨ هـ بشروط أخرى هي : صحة السند موافقة العربية – مطابقة الرسم .
راجع : القراءات القرآنية تاريخ وتعريف : ص ٣٩ .

لأكبر عدد ممكن من القراءات الصحيحة ، وكان آخر هؤلاء العلماء الذيـــن جاءوا إلى الأمة بشروط عادلة وموضوعية ، وجامعة ، ومانعة ، ابـــن الجزرى ت ٨٣٣ هـ(١) والذى ألف كتابا أسماه " النشر فى القراءات العشر " وقد جمع فيه ابن الجزرى سبعة ابن مجاهد ، وأضاف إليهم : . يعقوب الحضرمى وأبا جعفر يزيد بن القعقاع وخلف " ، وبذلك يصبح يعقوب الحضرمى مـــن القراء العشرة الثقاة ، الجائز التعبد بقراءتهم التى رووها مسندة إلـى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنه : - عند ابن الجزرى وغيره - ثقة صدوق ، ضابط ، لم يجرح بما ينفى عنه ذلك ...

٢) تجريح يعقوب الحضرمى وتعديله لدى الأئـمة :

لقد حاولت فيما مضى أن أبين أحقية يعقوب الحضرمى ، فى أن يكـــون ضمن القراء "السبعة"، ولايعنى هذا أن يعقوب الحضرمى مبرأ من أى طعن ، أو تجريح ، فلذلك استحق هذه المكانة !!

كلا ... إن يعقوب الحضرمى قد ناله بعض الأئمة بجرح أو بطعن ما ، وعلى كل حال - فليس بين هذه الطعون الآتية بعد ، مايساوى أقل قليل مما رمـى به غيره !!

وأول طعن رمى به يعقوب الحضرمى كان على لسان ابن سعد ، وذلك حيـث يقول عند تحدثه فى ترجمة يعقوب : وليس هو عندهم بذاك الثبت ، يقولون إنه حدث عن أناس لقيهم وهو صغير قبل أن يدرك ..."(٢) والذى يمكن فهمه مـن طعن ابن سعد السابق ، أن سبب عدم ثقة يعقوب لديه ، يرجع إلى تحديثـه

---

١) وكانت شروط ابن الجزرى كالتالى :
أ - صحة السند ب - موافقة العربية مطلقا (ولو بوجه) جـ - مطابقة الرسم ولو تقديرا . راجع النشر مقدمة الكتاب وتاريخ القرآن : ٢٢٠ والقراءات القرآنية تاريخ وتعريف : ص ٣٩ .

٢) الطبقات الكبرى لابن سعد : ٣٩٨/٧ وقد نص ابن حجر على عدم وجـــود=

ونقله عن أناس من العلماء لقيهم وهو صغير السن !![1]

ولايصح - قطعا - إغفال جانب السن فى من ينقل الحديث أو الأخبار لذا حرص علماء الحديث على الاهتمام بهذا الجانب اهتماما لانظير له ، وذلك من أجل أن يضمنوا سلامة الحديث وصحته ، لكنهم كانوا يحرصون على عدم الأخذ عمن أثر كبر سنهم فى ذاكرتهم[2].. وعلى الجانب الآخر وجدنا كثيرا من العلماء يُمدحون ، ويُقدَّمون على غيرهم ، بسبب تصدرهم للتعلم منذ صغرهم ، ويؤيد هذا الذى قلت ما نقلوه فى التاريخ لإمام الحديث والمحدثين وشيخهم فى عصره : " عبدالرحمن بن مهدى " ، من أنه تصدر لنقل الحديث وهو ابن بضع عشرة سنة ، وكذلك تلميذه أحمد بن حنبل ..."[3] إذن فإن من ينقل الحديث وهو صغير يُعد عند أئمة ثقاة ثقةً ، وليس غير ثبت كما ادعى ابن سعد ...!!

أضف إلى ذلك ، أن أحمد بن حنبل نفسه ، عندما سئل عن يعقوب الحضرمى قال : " هو صدوق "[4] .

أما الطعن الثانى الذى يمكن أن يرمى به يعقوب ، فهو الذى ورد ، فى حديث أحمد بن حنبل عن يعقوب الحضرمى ، إذ إن أحمد بن حنبل قد وثق وعدل

== يعقوب ضمن المجروحين عند ابن حبان ونقل توثيق ابن حبان ليعقوب ... انظر تهذيب التهذيب : ٣٨٢/١١ ، ولقد تبين لى صدق ابن حجر لأن ابن حبان لم يجرح يعقوب فى كتابه " المجروحين " .
انظر كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين " ج/٢/١٥٤× ، ٧٣/٣ ، ٣٢٤ دار الوعى بحلب سنة ١٣٩٦ هـ .

1) وحتى لو صح هذا فإن علماء الأمة قد نصوا على أن المتواتر من الأخبار يفيد العلم الضرورى سواء كان ممن له أهلية النظر أم غير ذلك كالعامى والصبى ، والمتعلم وغير المتعلم ... راجع : قواعد أصول الحديث : د. أحمد عمر هاشم ص ١٥١ .
2) قواعد أصول الحديث . د. أحمد عمر هاشم ص ١٥١ .
3) سير أعلام النبلاء : ١٩٢/٩ ومابعدها .
4) الجرح والتعديل : ٢٠٣/٢ كذا قال أبوحاتم ، وانظر : تهذيب التهذيب ، لابن حجر العسقلانى : ٣٨٢/١١ ، دار الفكر .

يعقوب الحضرمى بقوله ، هو صدوق " ، لكنه عندما سئل : لِمَ لمْ تكتب عنه ؟ أجاب بقوله : كنت عند ابن مهدى - يعنى شيخه عبدالرحمن بن مهدى - فدخل يعقوب الحضرمى ، فأغلظ له ، فتركته !!" أ.هـ.(١)

فربما يعد بعض الناس عدم كتابة أحمد بن حنبل عن يعقوب الحضرمى طعنا فى يعقوب ، وكذلك غضب ابن مهدى على يعقوب ربما يعده آخرون طعنا فى يعقوب الحضرمى ولسنا نعرف أى تفصيل حول هذا الغضب ، وأسبابه وظروفه لكننا نعرف أن ابن مهدى عالم عصره فى كثير من العلوم ، ومنها علم الحديث ، ونعرف أيضا أن ابن مهدى رجل حاد الطبع ، مثالى النزعة ، قاس على كثير ممن عاصروه أقرانا ، وتلامذة ، ومما يحكى فى هذا : أن ابن مهدى كان لايقوى أحد أن يسأله ساعة تحدثه ولايبرى قلم فى مجلسه ، وكأن على رؤوس من يجلسون أمامه الطير من شدة هيبتهم لهذا العالم(٢) ، ويبدو أن ابن مهدى قد لون تلامذته بحب المثالية ، والمبالغة فى البحث عنها ، ولذلك فإن كل من يجرحه ابن مهدى جرحه تلامذة ابن مهدى ، وكل من عدله عدلوه .(٣)

فليس غريبا - إذن - أن يترك أحمد بن حنبل الكتابة عن يعقوب بسبب أن ابن مهدى - فقط - أغلظ ليعقوب الحضرمى فى وجود أحمد بن حنبل .

والذى يهم هنا هو أن يعقوب صدوق ، وأنّ نَقْله وتحديثه عن أناس لقيهم وهو مغير ليس من الأسباب التى جعلت أحمد بن حنبل لاينقل عن يعقوب الحضرمى ... لكننا بعد فهم طبيعة شخصية ابن مهدى يمكن أن نفسر سبب اغلاظ ابن مهدى ليعقوب ، بأنه من باب المحاسبة على أقل القليل ، فحسنات الأبرار - عند ابن مهدى - سيئات المقربين .. كما يقولون !!

---

١) تاريخ بغداد أو مدينة السلام : ٢٦/٤ ومابعدها ، ومما ينبغى ذكره أن يعقوب الحضرمى لم يشتهر بالتحديث شهرته بالإقراء ، ومع هذا فقد روى أصحاب الكتب الستة - غير البخارى - ليعقوب الحضرمى وروى البخارى لتلميذى يعقوب الحضرمى - انظر تهذيب الكمال للمزى لوحة :١٤٥٨.

٢) حلية الأولياء : ٤/٩-٦٣ وانظر : العلل لابن المدينى : ص ٥١.

٣) ضحى الاسلام : ١٢٩/٢ والجرح والتعديل ٢٨٨/٥ ومابعدها .

هذان هما الطعنان اللذان وجها إلى يعقوب الحضرمي ، وليس واحد منهما يتعرض لخلق يعقوب بمكروه ، أو نقيصة تذكر ، على الرغم من أن معظم شيوخ يعقوب ، ومن تصدروا لتدريس العلوم ، قد قيل فيهم الكثير والكثير من عبارات القدح والتجريح ، إلا أن يعقوب قد برئ من هذا كله إلا ما سبق أن أشرت اليه .(١)

ويبقى بعد هذا ، أن أشير إلى أمر سبق أن نبهت إليه ، هذا الأمر هو أن أباجعفر النحاس قد ألف كتابا أسماه " القطع والائتناف " ولقد قلت في " الفصل السابق " إن أبا جعفر قد نقل كل مايمكن نسبته إلى يعقوب وعلمه ، وأقر منه ماوافق معارفه واتجاهاته ،وعارض بشدة كل ما اختلف فيه مع غيره .(٢)

ولذلك فإن يعقوب الحضرمي ربما يفهم من كلامه في بعض المسائل النحوية مايختلف فيه مع أبي جعفر ، فيأخذ أبوجعفر في وصم يعقوب بالغلط والتخليط ، وإتيان مايخالف أوجه النحو واللغة .

وقد يكون أبوجعفر محقا حينا ، وغير محق أحيانا فهل هذا الذي أورده أبوجعفر النحاس في كتابه حول تغليط يعقوب الحضرمي يمكن جعله من الطعون التي رمى بها ؟!!

إن كل مانقله أبوجعفر حول اختلافه مع يعقوب الحضرمي يعد من باب الخلاف في وجهات النظر والذي يجب ألا يفسد للود قضية ..(٣)

ومن أجل إنصاف يعقوب الحضرمي ، وإبراز مكانته التي كان يجب على ابن مجاهد ألا يغفلها ، فإنه لابد من نقل طرف قليل من أقوال العلماء في يعقوب الحضرمي ..

---

١) سير أعلام النبلاء : ١٧٠/١٠ومابعدها .
٢) بخاصة هؤلاء الأعلام الذين وردوا في كتابه مثل يعقوب ، ونافع ، وأبي حاتم ....
٣) انظر الفصل الأول"مبحث " علم يعقوب " من هذه الرسالة .

يقول صاحب وفيات الأعيان : هو - أى يعقوب الحضرمى : أعلم أهل زمانه ، وهو من أهل بيت العلم بالقراءات والعربية ، وكلام العرب والرواية الكثيرة للحروف ، والفقه وكان من أقرأ القراء "(١) ويعقوب الحضرمى فى بقية كتب الطبقات له أوصاف تزيد على هذه ، إن لم تساوها ، فيعقوب فى كثير من كتب الطبقات التى أحلنا إليها عند بداية الترجمة له فى " الفصل الأول " ، أعلم من أدرك أهل عصره بعلل القرآن ، ومذاهبه ، ومذاهب النحو ، وكان لايلحن فى كلامه ، وكان قارئا نحويا تصدر للإقراء والتحديث ، وحمل عنه خلق كثير ..." "ويكفى أن جل أقربائه علماء نحو وقراءات فهو بحق من أهل بيت علم بالقراءات والنحو ، ولِمَ لا ؟! وجده عبدالله ابن إسحق الحضرمى يعد - مع جيله - المؤسس الحقيقى لعلم النحو وأصوله عند كثير من الأئمة ...(٢)

وإذا كانت أوصاف يعقوب السابقة - برغم أننا نقلنا منها القليل - قد شاركه غيره من الأئمة فيها ، فإن الذى يحسب ليعقوب هنا هو أن مارمى به من طعن يعد شيئا هينــًا بجانب مارمى به غيره ، مما جعل بعض المحققين القدامى يتمنى أن لو جعل مكان " حمزة " " يعقوب " الحضرمى (٣) وهو عند آخرين : فاق الكسائى فى القراءة ، لكن رزق أبو الحسن سعادة !!" (٤)

٣) قراءة يعقوب الحضرمى ومكانتها من القراءات :

تستمد قراءة يعقوب الحضرمى مكانتها من مكانة يعقوب الحضرمى نفسه بين القراء ، وتستمد قراءة يعقوب الحضرمى مكانتها أيضا من عدة أمور أخرى ، منها : تواترها ، وقلة الشاذ فيها ، وإجماع الأئمة عليها ، وصحة سندها ، ومن أجل توضيح هذا يجدر مناقشة النقاط التالية باختصار مفيد على النحو التالى :

---

١) وفيات الأعيان ٣٩٠/٦ ومابعدها .
٢) المدارس النحوية : ص٢٢ ومابعدها وهامش (١) من تلك الصفحة .
٣) النشر : ٣٩/١ .
٤) سير أعلام النبلاء : ١٦٩/١٠ .

أ ـ المتواتر فى القرآن والقراءات .

ب ـ مفهوم الشاذ .

جـ ـ قراءة يعقوب الحضرمى بين المتواتر والشاذ .

جـ ـ قراءة يعقوب الحضرمى بين المتواتر والشاذ .

د ـ إثبات تواتر قراءة يعقوب الحضرمى .

أما عن تواتر القرآن والقراءات ، فإذا كان العلماء قد اختلفوا فى التفريق بين القراءات والقرآن ، واعتبار كل منهما حقيقة مختلفة عن الآخر ، أو أن كليهما شئ واحد لكن بتسميتين مختلفتين ، فإن إجماعهم على أن القرآن الكريم متواتر ، ومن أجل تحديد ماهية القرآن نص العلماء على أن القرآن قد اجتمعت فيه شروط التواتر عند القراء وهى صحة السند ، وموافقة العربية ، ومطابقة الرسم ، فكل ما اجتمعت فيه هذه الشروط الثلاثة يسمى قرآنا ، وكل ما اختل فيه شرط من هذه الشروط يعد قراءة . وبناء علىهذا عرفوا القرآن بأنه الوحى المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، للبيان والإعجاز"(1) وعرفوا القراءات : بأنها : اختلاف ألفاظ هذا الوحى فىالحروف وكيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرهما ..."(2)

ومعنى هذا أن القراءات القرآنية منها ماهو متواتر ، ومنها ماليس بمتواتر ، والذى يعين على ضبط هذه المسألةهو هذه الشروط التى وضعها القراء لقبول القراءة ، والتى أشرنا إليها فيما مضى ، وكان آخر هذه الشروط ماجاء به ابن الجزرى .(3)

---

1) البرهان : ٣١٨/١ ومنجد المقرئين ص ٥٣ .

2) اتحاف فضلاء البشر : ص ٥٥ .
والاتقان ٧٥/١ كشاف اصطلاحات الفنون ١١٥٨/٥ .

3) سبق ذكر هذه الشروط فى ص

الا أن الأمر قبل ابن الجزرى ، وقبل إتيانه بهذه الشروط كان على غير ما استقر عليه بعد ابن الجزرى ، إذ ان كثيرا من العلماء قد قسموا القراءات الى قسمين ، قسم متواتر وهو كل ماجاء فى كتاب " السبعة " لابن مجاهد[1] ، أى : القراءات السبعة ، وقسم آخر عدوه شاذا وهو كل مالم يكن ضمن كتاب السبعة ، وكان هذا بسبب الخوف على كتاب الله وكان هذا عملا بدأه ابن مجاهد ، وتبعه فيه بعض العلماء اللاحقين له لكن علماء الأمة الثقاة رأوا أن هذا تقسيم ليس فيه أثر ولا سنة ، ولايعتمد على أسس جامعة مانعة ، ولذلك فقد ألفوا كتبا كثيرة تحتوى على قراءات أخرى غير قراءات ابن مجاهد ، أو مضافا إليها ، ثم نصوا على تواترها وعلى صحتها ، بل هناك من تعرض لجرح بعض من نص عليهم ابن مجاهد فى كتابه " السبعة " [2]

والمهم فى هذا كله أن العلماء بجانب اهتمامهم بإثبات تواتر القراءات السبع ، اهتموا أيضا بإثبات تواتر غيرها ، وذلك بمحاولة تطبيق شروط القراءة الصحيحة على بقية القراءات الأخرى ، فإذا وجدوا أن هذه الشروط تنطبق على قراءة قارىء ليس من السبع المنصوص على تواترها ، جعلوا هذه القراءة مما نص على تواتره ، يقول الهروى فى سبب إدخاله قراءة يعقوب الحضرمى وأبى جعفر ضمن القراءات المعتبرة: لأنا وجدنا قراءتهما على الشرط الذى وجدناه فى قراءة غيرهما - ممن بعدهما -

---

١) ليس كتاب السبعة هو الوحيد فى جمع المتواتر ، فهناك كتب أخرى جمعت متواتر السبعة وغيرهم مثل : غاية ابن مهران ، وغاية أبى العلاء الهمدانى وارشاد أبى العز القلانسى ، وتيسير أبى عمرو الدانى ، وموجز أبى على الأهوازى ، وتبصرة ابن أبى طالب ، وكافى ابن شريح ، وتلخيص أبى معشر الطبرى ، وحرز أبى القاسم الشاطبى ، ونشر ابن الجزرى وتقريبه وتحبير التيسير وغيرها ... وأما غير هؤلاء ممن لم يشترط شروط التواتر المشهورة فلم يفاضل بين متواتر وغير متواتر فى مؤلفه انظر : القراءات القرآنية ، تاريخ وتعريف ص ٥٩-٦٠ والنشر : ٣٥/١ .

٢) انظر فى ذلك تراجم كل من " الكسائى " و " نافع " وحمزة وحديث ابن مهدى عن حمزة أكبر دليل على ذلك .
انظر : سير اعلام النبلاء : ١٩٢/٩ . وانظر مناقشة هذه القضية فى كتاب القراءات القرآنية ص ٦٥-٦٧ .

فى العلم والثقة بهما ، واتصال إسنادهما ، وانتفاء الطعن فى روايتهما.[١]

وبناء على المبالغة أو المرضوعية فى تطبيق أول مجموعة شروط[٢] - أو مالحقها من شروط - ظهرت النظرة المجحفة لبعض القراءات المسماة بالشاذة[٣] وبدأ علماء الأمة يعرفون الشاذ من القراءات ، ويقسمونه أقساما مختلفة .

فالشاذ عند بعض العلماء هو مادون السبعة ، والشاذ عند علماء آخرين هو مالم تنطبق عليه شروط القراءة الصحيحة المتواترة ، سواء من السبع المشهورة أم من غيرها [٤] وبدأ ابن جنى فى إنصاف كل ماسمى شاذا فى عصره مع أنه عرف الشاذ بأنه كل ماكان خارجا عما أجمع عليه أكثر قراء الأمصار ، لكنه مع خروجه عن قراءات القراء السبع نازع بالثقة إلى قرائه ، محفوف بالرواية من أمامه ووراءه "[٥]

وابن جنى - بجانب ذلك - يرى أن من الشاذ ماهو مساو فى الفصاحة للمجتمع عليه " وربما كان من الشاذ أيضا ماتلطف صنعته ، وتعنف بغيره فصاحته ، ذلك لأن مايسمى شاذا ، أى : فى عصره ، له سند من صحة الرواية ، وله وجه من سمت العربية ...[٦].

إذن فابن جنى لايرى بأسا من استعمال كثير من القراءات - التى سميت فى عصره شاذة - فى علوم اللغة ، وذلك إذا كان لها رواية صحيحة ،

١) البرهان ٣٣٠/١ .
٢) جاء بها ابن مجاهد .
٣) فبعض قراءات كتاب السبعة والتى عدها ابن مجاهد متواترة عدها بعض علماء القرن الخامس شاذة ، وكذلك العكس صحيح ، انظر مقدمتان فى علوم القرآن : ٢٠٧ .
٤) راجع : قراءة ابن كثير وأثرها فى الدراسات النحوية والنشر :٤٤/١-٤٥ .
٥) المحتسب : ٣/١ ، وكتاب " أبو على الفارسى " ص ٣٣٥ .
٦) المحتسب ٤/١ .

ووجه من سمت العربية .. وهو بهذه النظرة الموضوعية قد وضع الأمر في نصابه من وجهة نظره ، ثم جعل كلامه النظرى واقعاعمليا وذلك عندما ألف كتابه المحتسب تحقيقا لما كان يتمناه أستاذه أبوعلى الفارسى ، وقد انتشرت كتب الاحتجاج للقراءات التى لم تنل شرف انضمامها إلى القراءات السبع وذلك فى كثير من المؤلفات النحوية ، أو التفسيرية - أو غيرهما - وكل هذا أدى فى النهاية إلى تثبيت كثير من القراءات التى لم تكن ضمن سبعة ابن مجاهد .

ولقد كانت قراءات يعقوب الحضرمى من القراءات التى لم يضمها كتاب السبعة ، ومعنى هذا أنها ستوصف بالشذوذ بناء على بعض الآراء ، وهو ماستوضحه السطور الآتية : قال ابن الجزرى : قلت أعجب العجب بل من أكبر الخطأ جعل قراءة يعقوب من الشاذ الذى لاتجوز القراءة به ولا الصلاة،وهذا شىء لانعرفه قبل ، إلا فى هذا الزمان ، ممن لايعول على قوله ولايلتفت إلى اختياره وللأئمة المتقدمين فى ذلك مايبين الحق ويهدى السبيل .."(1) ثم قال ابن الجزرى : فليعلم أنه لافرق بين قراءة يعقوب وقراءة غيره من السبعة عند أئمة الدين المحققين .."(2) وإذا كان ابن الجزرى قد جعل منزلة يعقوب تساوى منزلة أى قارىء من العشرة ، فإن الذهبى يرى أن يعقوب الحضرمى ليس دون الكسائى ، بل هو أرجح منه عند أئمة " لكن رزق أبوالحسن سعادة "(3)

ويرى الذهبى أنمن أدلة تواتر وصحة قراءة يعقوب وعدم شذوذها أمور كثيرة منها :

" أن يعقوب الحضرمى كان يقرىء الناس علانية بحرفه فى البصرة فى أيام ابن عيينة ، وابن المبارك ، ويحي القطان ، وابن مهدى ، والقاضى

---

1) النشر : 44/1 ومابعدها .
2) السابق .
3) سير أعلام النبلاء 169/10.

أبويوسف ، ومحمد بن الحسن ، ويحيى اليزيدى ، وسليم ، والشافعى ، ويزيد ابن هارون ، وخلق كثير .. من أئمة الدين المحققين ، ولم ينقل عنه قط أن أحدا من القراء ولا الفقهاء ، ولا الصلحاء ، ولا النحاة ، ولا الخلفاء كالرشيد وابنيه ، الأمين ، والمأمون ، ولا غيرهم أنكر عليه قراءته ولامنعوه منها ، أصلا ، ولو أنكر أحد عليه لنُقل ، ولا شْتَهَر ، بل مدحها غير واحد وأقرأ بها أصحابه بالعراق ، واستمر إمام جامع البصرة ، بقراءتها في المحراب سنين متطاولة فما أنكر عليه مسلم ، بل تلقاها الناس بالقبول ."(١)

ومن أجل أن يكون كلام الذهبى منطقيا ، مشفوعا بأدلة مقنعة لإثبات تواتر قراءة يعقوب الحضرمى ، يذكر أن حمزة عومل مع جلالته بالإنكار عليه ، ولم يجر مثل ذلك ليعقوب حتى نشأ طائفة متأخرون لم يألفوها ، ولا عرفوها ، فأنكروها ومن جهل شيئا عاداه "(٢) ويبدأ الذهبى فى ذكر حجج الذين ادعوا أن قراءة يعقوب ليست متواترة ، ويرد عليها وذلك حيث يقول : قالوا : لم تتصل بنا متواترة " - قلنا اتصلت بخلق كثير متواترة ، وليس من شرط التواتر أن يصل إلى كل الأمة ، فعند القراء أشياء متواترة دون غيرهم ، وعند الفقهاء مسائل متواترة عن أئمتهم لا يدريها القراء ، وعند المحدثين أحاديث متواترة قد لايكون سمعها الفقهاء أو - حتى - أفادتهم ظنا فقط .

وعند النحاة مسائل قطعية ، وكذلك اللغويون ، وليس من جهل علما حجة على من علمه ، وإنما يقال للجاهل تعلم ، وسل أهل العلم إن كنت لاتعلم "(٣) .

ويبدو أن الذهبى - رحمه الله - يرد على أبى عمرو الدانى الذى كان أول من ادعى أن حرف يعقوب من الشاذ ، وتبعه فى ذلك أئمة ، يرد على هؤلاء

---

١) سير أعلام النبلاء ١٠/١٧٠ومابعدها .
٢) السابق .
٣) السابق .

جميعا وعلى من تبعهم بقوله : ... فكثيرمن القراءات تدعون تواترهـــا وبالجهد أن تقدروا على غير الآحاد فيها ، ونحن نقول : نتلو بها وإن كانت لاتُعرف إلا عن واحد ، لكونها تُلُقِّيَتْ بالقَبول ، فأفادتِ العلم ، وهذا واقع فى قراءات كثيرة ..."(١)

ومن أراد مواصلة النقاش حول قضية إثبات تواتر قراءة يعقرب وبقيـة الثلاثة المتممين للعشرة مثلما ثبت تواتر قراءة الأئمة " السبع" الذيــن ضمهم كتاب " السبعة " من أراد مواصلة النقاش وتتبع أدلة ذلك فليراجــع حديث ابن الجزرى مع أبى نصر بن عبدالوهاب حول حتمية القول بتواتــر قراءة يعقوب وأبى جعفر وخلف مثل قراءة الأئمة السبعة.(٢)

وإذا كان الذهبى قد جمع كل دليل صحيح يثبت به تواتر قــراءة الثلاثة القراء ، وكذلكابن الجزرى وغيرهم كثير ، فإننا بجانب تأييدنـا لكل صوت من هذه الأصوات ، نُضيف إليها أن من أقوى الأدلة على صحة وتواتــر قراءة يعقوب . ماسأعرضه بعد قليل من أسانيد قراءة يعقوب ، وكذلك طرقها لأن سند القراءة الصحيح دليل لاينافسه دليل وحجة لاتغلبها حجة لصحــة وتواتر القراءة ، وهذا ماستوضحه السطور التالية ...

٤) سـند يعقوب الحضرمى فى قراءته.

يقصد بسند القارىء - أى قارىء - هذه السلسلة التى نقل هذا القـارىء قراءته عنهممتسلسلين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتتكون هـذه السلسلة من رجال روى المتأخر عن المتقدم منهم مادة هذه القراءة ، حتى نصل إلى مجموعة الرجال الذين نقلوا هذه القراءة عنه صلى الله عليه وسلم

---

١) السابق .
٢) النشر : ٤٥/١ ومابعدها.

ولقد اهتم علماء " السند " أو علماء " الجرح والتعديل " بحـال ، وأخبار هؤلاء الرجال ، ووضعوا شروطـا محددة لابد من توفرها فى كـل من ينقل القراءات . أو الحديث الشريف[1] وبناء على هذه الشروط يحكـم على مانقلوه ، بالصحة أو الضعف أو غير ذلك من الأحكام المترتبة على اختلال شرط من شروط صحة السند ...[2]

ومن المعروف أن علماء كل علم من العلوم المعتمدة على الروايـة قد اهتموا بجرح أو تعديل الرواة الذين نقلوا مادة علومهم أو بعضـا منها ، ولابد من القول بأن المبالغة فى تحرى الدقة فى صحة المـادة المنقولة عن السلف قد أدت إلى تجريح الراوى على أقل هنة فيه ، وبنـاء عليه ، تجرح مادته التى نقلها فتصبح ضعيفة ، أو شاذة ، أو غير ذلـك ويتفاوت الأمر من علم إلى علم فى مدى هذه المبالغة وحتمية الأخذ بهـا إلا أن علماء القراءات قد نصوا على أهمية توفر صحة السند فى أى قـراءة معول عليها ، وإلا رفضت هذه القراءة ، ولم يعول عليها ، حتى ولو تحققت الشروط الأخرى الواجب توافرها فى القراءة الصحيحة مثل موافقة العربيـة أو أحد المصاحف [3].

وقد وافق كثير من أصحاب العلوم المعتمدة على القراءات ، علـى مانص عليه علماء القراءات ، نظريا ، وعمليا ، أو نظريا فقط .[4]

ويعد علم النحو من هذه العلوم المستفيدة من القراءات القرآنيـة لكن بعض علمائه لم يتعاملوا مع القراءات كما ينبغى ، وشاركهم فى هـذا بعض من العلماء الذين لم يشتهروا بالنحو فقط مثل الطبرى ، والفـراء وغيرهما ...[4]

---

1) قواعد أصول الحديث ص ١٢٣، ومن الأمور التى ميزت الأمة الاسلاميـة على سائر الأمم أن لها اسنادا متصلا ... راجع النشر ١/١٩٨.

2) الجرح والتعديل ١/٧.

3) الرواية والاستشهاد باللغة ص ١٢١.

4) أى أنهم لم يقتنعوا بتطبيق هذه الشروط على بعض الرواة فجرحوهم لأنهم - فقط - خالفوا قواعد النحويين ، لا لأنهم مجروحون أصلا ...!!

ويهمنا فى هذا كله أن نقرر أن القراءات تعد من أوثق النصوص التى يجدر الاعتماد عليها فى كثير من العلوم بناء على هذا التمحيص الشديد الذى تم لهؤلاء الرواة الذين نقلوا القراءة ، وبناء عليه فإن قراءة يعقوب الحضرمى قد توفر لها من صحة السند ماحمل كثيرا من المنصفين قراء ونحويين وغيرهم ، على أن ينصوا على توفر شروط التواتر فيها (١) ، وأن صحة الاستشهاد بها وحتمية استعمالها فىعلوم القرآن واللغة أمر لابد منه ، نص على ذلك البغوى وغيره .(٢)

ومما يقوى القول بصحة تواتر قراءة يعقوب الحضرمى ، وصحة سندها أن يعقوب قد اشترك مع بعض القراء السبعة فى سندهم ، فإن يعقوب قرأ على سلام ، وسلام قرأ على أبى عمرو وعلى عاصم (٣) وبما أنه قد نص على تواتر قراءة هذين ، فلابد أن ينسحب هذا الحكم على يعقوب الحضرمى .

وهب أن رواية ، متواترة أو آحادا (٤) ، أو طريقا - مما سندرسه

---

١) لقد اختلف فى مبدأ التواتر ، أو فى العدد الذى يحصل به التواتر فمنهم من حدده بأربعة ، ومنهم من حدده بخمسة ، ومنهم من حدده بسبعة ، وقيل عشرة ، وقيل اثنا عشرة ، وقيل عشرون ، وقيل سبعون ...!!! " راجع قواعد أصول الحديث ص : ١٠٥ .

٢) مقدمة تفسير البغوى : ٣/١ وشذرات الذهب ١٤/٢ .

٣) النشر : ١٩٨/١ ومابعدها ، وطبقات القراء ٣٠٩/١ .

٤) وحتى خبر الواحد ، قد اتفق جمهور المسلمين من الصحابة ، والتابعين وغيرهم على وجوب العمل به ، وأنه حجة ، ويفيد الظن ، ومنع من وجوب العمل به بعض الطوائف كالروافض ، والقدرية والجبائية ، وجماعة من المتكلمين ، وقد اجتمعت لدى علماء الحديث أدلة دامغة على حتمية العمل بخبر الآحاد من الكتاب والسنة..." راجع : قواعد أصول الحديث ص ١٥٠ .

فى الفصل " الثالث " و " الرابع " من هذه الرسالة ، قد وصفه بعض العلماء بالضعف أو الشذوذ أو غير ذلك إلا أن دراستنا له ، والاعتماد عليه ، خير من الاعتماد على بيت مجهول القائل ، أو مصنوع ٠

هذا ، وسنلاحظ على سند يعقوب أنه احتوى على أخذ يعقوب عن أبى عمرو ، إلا أن بعض العلماء قد نصوا على أن القول بأن أبا عمرو بن العلاء شيخُ يعقوبَ ، لابد معه من النص على أن يعقوب جلس مع أبى عمرو وأخذ عنه ولأنهم نصوا على أن أبا عمرو مات ويعقوب صغير ، فإنهم لم يرتضوا القول بتلمذته على أبى عمرو (١) وكل هذه ا حجج واهية ، لأن أبا عمرو مات ويعقوب ليس صغيرا كما قالوا ! بل إن عمره آنذاك كان سبعا وثلاثين سنة !! فكيف يوصف بأنه صغير ؟ لأنه أيضا إن تعلم العلم وهو أكبر من ذلك لقالوا عنه إنه تعلم العلم وهو كبير ، وأصبحت هذه وصمة يوصم بها كما وصم بها الكسائى قبله (٢)!!

وإذا قالوا إنه لم يَرِد خبر ينص على تلمذة يعقوب على يد أبى عمرو قلنا إنه ورد أن يعقوب قرأ على أبى عمرو ، قال ابن الجزرى وقد روى ابن المنادى أن يعقوب الحضرمى قرأ على أبى عمرو ، قال أبوعبدالله القصاع : وماذلك بعيد ، لأن أبا عمرو مات وليعقوب سبع وثلاثون سنة ٠٠" (٣)

أضف إلى ذلك أنه ورد فى عدة روايات أن يعقوب روى عن أبى عمرو كل ما أدغم أبو عمرو من المتقاربين ، والمتماثلين(٤) ولسنا بعد هذا كله مطالبين باليوم والساعة التى جلس فيها يعقوب مع أبى عمرو ، بحجة أن يعقوب الحضرمى قد حدد المدة الزمنية التى تتلمذ فيها على بعض مشايخه

---

١) غاية النهاية : ٨٥/٢ ميزان الاعتدال ٣٥٨/١ ٠
٢) معجم الأدباء ١٦٨/١٣ ٠
٣) غاية النهاية لابن الجزرى ٢٨٥/٢ ومابعدها ٠
٤) النشر ١٢١/١ ٠
وسيأتى اشارة الى ذلك قريبا ٠٠
٥) غاية النهاية ٢٨٥/٢ ٠
٦) لقد سجل ابن الجزرى فى النشر : ج ١ من ص ١٨٠-١٨٨ طرق قراءة يعقوب وأسانيدها ٠

لأن هذا أمر ليس مفروضا على كل قارئ عمله مع كل شيوخه .(١)

ومع كل هذا فإننا سنذكر سند يعقوب على أبي عمرو المباشر ، وسنذكر أيضا معه سند يعقوب على أبي عمرو غير المباشر(٢) وذلك لثبوت الأخير ثبوتا قاطعا لايحتمله أو يداخله شك .

ورد أن يعقوب الحضرمي قرأ على كل من :

أبي عمرو بن العلاء ، وعلى أبي المنذر سلام بن أبي سليمان وعلى شهاب بن شرنفة ، على أبي يحي مهدى بن ميمون ، وعلى أبي الأشعب جعفر ابن حيان العطاردى ، وقيل انه قرأ على آخرين (٣)(٤)

فأما أبو عمرو بن العلاء فقد قرأ على أبي جعفر ويزيد بن رومان ، وشيبة ابن نصاح ، وعبدالله بن كثير ، ومجاهد ابن جبير والحسن البصرى ، وابن العالية رفيع بن مهران الرياحي وحميد بن قيس الأعرج المكى ، وعبدالله بن أبي إسحق الحضرمي وعطاء بن أبي رباح وعكرمة بن خالد ، وعكرمة مولى ابن عباس ومحمد بن عبدالرحمن بن محيصن ، وعاصم بن أبي النجود ، ونصر ابن عاصم ، وقرأ عكرمة مولى ابن عباس على ابن عباس ، وقرأ نصر على أبي الأسود على عثمان وعلى على بن أبي طالب وقرأ ابن عباس ، وعثمان ، وعلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على جبريل عليه السلام ..(٥)

---

١) غاية النهاية ٢/٢٨٥ .

٢) لقد سجل ابن الجزرى في النشر : ج ١ من ص ١٨٠-١٨٨ طرق قراءة يعقوب وأسانيدها .

٣) رسالة في أسانيد القراء للشيخ محمد متولى ت ١٣١٣ هـ ص ٣٠-٣٤ " سند يعقوب " .

٤) سيرد ذكرهم قريبا .

٥) النشر ١/١٨٣ .
ورسالة في أسانيد القراء ص ٣٢ .

أما سلام بن أبى سليمان فقد قرأ على كل من عاصم الكوفى ، وأبى عمرو ابن العلاء ...

وقرأ عاصم على أبى عبدالرحمن عبدالله بن حبيب بن ربيعة السلمى الضريرى ، وعلى أبى مريم زر بن حبيش بن حباشة الأسدى ، وعلى أبى عمرو سعد بن أياس الشيبانى وقرأ هوءلاء الثلاثة على عبدالله بن مسعود وقرأ السلمى أيضا على أبى بن كعب ، وزيد بن ثابت – ص – وقرأ ابن مسعود ، وعثمان ، وعلى وأبى ، وزيد – رضى الله عنهم – على رسول الله صلى الله عليه وسلم ..(١)

وكذلك قرأ السلمى وزر على عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب رض الله عنه ، وقرأ عثمان وعلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) وتقدم سند أبى عمرو .

وشهاب بن شرنفة فقد قرأ على أبى عبدالله هارون بن موس العتكى الأعور النحوى ، وعلى المعلى بن عيسى ، وقرأ هارون على عاصم الجحدرى(٣) وابن عباس بسندهما وقرأ هارون أيضا على عبدالله بن أبى إسحاق الحضرمى وقرأ على يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم بسندهما .(٣)

ومهدى بن ميمون : قرأ على شعيب بن الحجاب وقرأ على أبى العالية الرياحى ، وقرأ أبو العالية الرياحى على عمر بن الخطاب وأبى بن كعب وزيد بن ثابت وابن عباس ، وقرأ عمر بن الخطاب ، وأبى ، وزيد ، وابن

---

١) السابقان وميزان الاعتدال ٣٥٨/٢ .

٢) النشر ١٨٥/١ .

٣) والجحدرى البصرى عرض على سليمان بن قتة عن ابن عباس وقراءته فى الكامل والاتضاح فيها مناكير ولايثبت سندها ... الا أن السند اليه صحيح فى قراءة يعقوب من قراءته على سلام عنه . انظر النشر ١٨٦/١ .

٤) وقرأ عبدالله بن أبى إسحاق على نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر وقرأ نصر ويحيى على أبى الاسود الدئلى ، وقرأ أبو الأسود على عثمان بن عفان وعلى على بن أبى طالب على رسول الله صلى الله عليه وسلم .
انظر السابق .

عباس على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو الأشعب[1]، فقد قرأ على أبى رجاء عمران بن سليمان العطاردى وقرأ أبو رجاء على أبى موسى الأشعرى وقرأ أبو موسى وابن عباس على رسول الله صلى الله عليه وسلم.[2]

٥) طرق قراءة يعقوب الحضرمى :

يبقى بعد هذا أن نضيف الى سند قراءة يعقوب طرق قراءة يعقوب لتكمل الفائدة على النحو التالى :

أولا : طرق قراءة يعقوب بروايه رويس .

وهى كالتالى :

الأول : النحاس عن رويس من :

أ - طريق الحمامى عن النحاس من تسع طرق :

١) قرأ بها ابن شيطا من كتابه التذكار على الحمامى .

٢) قرأ بها أبو الحسين نصر الفارس وقرأ عليه بها كثيرون على الحمامى .

٣) وقرأ بها المالكى أبو على من كتب كثيرة منها الكامل على الحمامى ، ومن كتاب الروضة ، والإرشاد والكفاية على الحمامى .

٤) وقرأ بها الواسطى من كتابى الارشاد والكفاية ومن غاية أبى العلاء أيضا على الحمامى .

٥) وقرأ بها الشرمقانى أبو على من كتاب المستنير على الحمامى

٦) وقرأ بها الهاشمى على الحمامى .

٧) وقرأ بها أبو على العطار من المستنير على الحمامى .

٨) وقرأ بها من المصباح الخياط أبو الحسن وكذلك من" الجامع " على الحمامى .

---

١) ذكر ابن الجزرى أن قراءة يعقوب الحضرمى على أبى الأشعب عن أبى رجاء عن أبى موسى فى غاية العلو : راجع غاية النهاية ٢٨٦/٢ والاسناد العالى ، هو ماقرب رجال سنده من رسول الله صلى الله عليه وسلم و قال أحمد بن حنبل : طلب الاسناد العالى سنة عمن سلف ، راجع : قواعد أصول الحديث : ص ١٨٧ .

٢) رسالة فى أسانيد القراء ص ٣٢ .

٩) وقرأ بها أيضا عبدالملك بن شابور بن نصر من الكامل للهذلي على الحمامى .

ب - طريق القاضى أبى العلاء عن النحاس .

١) قرأ بها الحسن بن القاسم على أبى العلاء الواسطى .

٢) وقرأ بها عبدالسيد بن عتاب على أبى العلاء

٣) وقرأ على أبو أحمد بن الحسين بن حيزون على أبى العلاء .

ج - طريق السعيدى عن النحاس :

١) وقد قرأ بها ابن الفحام على السعيدى .

٢) وكذلك قرأ بها أبو الحسين الفارسى على السعيدى .

د - طريق ابن العلاف عن النحاس :

١) قرأ بها ابن شيطا على ابن العلاف .

٢) وقرأ بها الشرمقانى على ابن العلاف .

هـ - طريق الكارزينى عن النحاس :

١) قرأ بها الشريف أبوالفضل على أبى عبدالله محمد بن الحسين بن اذربهرام الكارزينى .

٢) وقرأ بها الواسطى على الكارزينى .

٣) وقرأ بها الطبرى على الكارزينى .

٤) وقرأ بها الهذلى على الكارزينى .

و - طريق الجنازى عن النحاس :

١) قرأ بها الهذلى على الجنازى .

٢) وقرأ بها منصور بن أحمد القصدرى على الجنازى

ز - طريق الخزاعى عن النحاس :

١) وقرأ بها عبدالله بن شبيب على الخزاعى .

وقد قرأ هوءلاء السبعة على النحاس ، ليكون للنحاس بذلك ثنتان وثلاثون طريقا .

الثانى : التمارت ٣١٠ هـ عن رويس من :

أ ـ طريق أبى الطيب عن التمار ٠

ب ـ طريق ابن مقسم العطار عن التمار ٠

جـ ـ طريق الجوهرى عن التمار ٠

ثانيا : طرق قراءة يعقوب برواية روح بن عبدالمؤمن :

الأول : طريق بن وهب عن المعول وذلك من ثلاث طرق :

١) طريق بن خشنام عن المعدل ٠

٢) طريق ابن أشته عن المعدل ٠

٣) طريق هبة الله عن المعدل ٠

الثانى : طريق حمزة بن على عن ابن وهب ٠

الثالث : طريق الزبيرى عن روح من طريق ابن شنبوذ ٠

الرابع : طريق التبريزى عن روح عن طريق بن حبشان ٠

وقرأ الزبيرى ، وابن وهب على أبى الحسن روح بن عبدالمؤمن ابن عبدة بن مسلم الهذلى مولاهم البصرى النحوى ٠

وقرأ روح ورويس على امام البصرة أبى محمد يعقوب بن زيد بن عبدالله ابن أبى اسحق الحضرمى مولاهم البصرى ٠(١)

٦) شيوخ يعقوب :

لقد سبق ذكر إسناد قراءة يعقوب ، وهذا الإسناد يحتوى على شيوخه بالطبع ، لأن من قرأ عليهم يعقوب الحضرمى يعدون بشهادة الثقاة ـ شيوخا ليعقوب ، لأنه أخذ عليهم العلم ، وتلقاه ، وسواء اتفق تعريف لفظ شيخ بالنسبة للتلميذ ، أم لم ينطبق على يعقوب ومن سنذكرهم شيوخا له(٢)

---

١) راجع النشر ١/ من ص١٨٠-١٨٨ ٠

٢) فيما مضى فى ص ذكرنا ردا على من منعوا القول بتلمذة يعقوب على أبى عمرو بن العلاء ٠٠٠

فإنى سأسوق هذا الثبت الذى استقر - لدى العلماء الموثوق فيهم - أنـــه قرأ عليهم ... وهم كما يلى :

١) سلام بن سليمان الطويل ، أبو المنذر المزنى ، مولاهم البصـــرى ثم الكوفى ، وهو ثقة ومقرئ كبير ، وقد ذكره ابن حبان فى الثقاة ، وقال أبوحاتم : صدوق ، الا أن العقيلى لين حديثه .. توفى فى سنة ١٧١ هـ ، وقـــد أبعد من قال ان عمره ١٣٥ سنة .(١)

٢) شهاب بن شرنفة المجاشعى البصرى ، وقد صحف بعضهم فى اسمه فجعله " شريفة " بالياء ، وكان من جلة المقرئين بعد أبى عمرو ، مع الثقـــة ، والصلاح ... توفى بعد سنة ١٦٠ هـ.(٢)

٣) مهدى بن ميمون ، أبو يحيى البصرى ، وهو ثقة مشهور ، عرض علـــى شعيب بن الحبحاب ، وروى عن الحسن وابن سيرين عرض عليه يعقوب الحضرمـــى وروى عنه ابن المبارك ووكيع ، ومات فى ١٧١ هـ .(٣)

٤) أبو الأشهب العطاردى .(٤)

٥) ومسلمة بن محارب .(٥)

٦) وعصمة بن عروة الفقيمى .(٦)

٧) وسمع الحروف عن الكسائى .(٧)

٨) يونس بن عبيد .(٨)

---

١) غاية النهاية : ٣٨٦/٢ ومابعدها ، والنجوم الزاهرة ١٧٨/٢ ، ١٧٩ ، سير اعلام النبلاء ١٦٩/١٠ ومابعدها .
٢) غاية النهاية ٣٢٨/١ ، ٣٨٦/٢
٣) غاية النهاية ٣١٦/٢ .
٤) تهذيب التهذيب ٣٨٢/١١ .
٥) السابق ، وطبقات القراء لابن الجزرى ٣٨٦/٢ . (٦) السابق .
٧) وفيات الأعيان ٣٩٠/٦ ومابعدها .
٨) غاية النهاية ٣٨٧/٢ ومابعدها.

٨) أبوعمرو بن العلاء واسمه على المشهور

زبان بن العلاء بن عمار بن تميم أبو عمرو بن العلاء التميمي المازني البصري ، وهو أحد القراء السبعة ، وقد اختلف في اسمه على أكثر من عشرين قولا .(١) ولاريب أن بعضها تصحيف لبعض ، وهذا هو الصواب الذي صدرت به الصفحة ، ولقد كانت الشام تقرأ بحرف ابن عامر إلى حدود الخمسمائة فتركوا ذلك لأن شخصا قدم من أهل العراق ، وكان يلقن الناس بالجامع الأموي على قراءة أبي عمرو فاجتمع عليه خلق ، واشتهرت هذه القراءة عنه : وليس هناك داع أو مبرر لترك الناس لقراءة ابن عامر إلى أبي عمرو إلا هذا الذي قاله ابن الجزري ، كما نص هو ..(٢)

وقد اختلفوا في تاريخ وفاته ، إذ إنه ولد بمكة ونشأ بالبصرة ، ومات بالكوفة في ١٥٤ هـ أو ١٥٥ هـ أو ١٥٧ هـ أو ١٥٨ هـ .(٣)

وقد ذكروا أن يعقوب الحضرمي روى عن شعبة وهارون بن موسى وهمام بن يحى ، وعبدالعزيز بن زيادة ، وزائدة بن قدامة .(٤)

وكذلك سمع من جده زيد بن عبدالله ، وشعبة وكذلك الأسود بن شيبان ، وسهيل بن مهران القطمي ، وسوادة بن أبي الأسود ، وسليمان بن معاذ الضبي ، وسليم بن حيان وعاملة بن صالح الجزاز ، وعبدالرحمن بن ميمون مولى ابن سمرة ، ومرجى بن رجاء .(٥)

---

١) غاية النهاية ٢٨٨/١ ، ٢٨٦/٢ .
٢) السابق .
٣) السابق .
٤) غاية النهاية ٢٨٦/٢ ومابعدها .
٥) السابق .

٧) تلاميذه:

أيضا يمكن القول بأن تلاميذ يعقوب الحضرمى قد سبق ذكرهم فى الطرق التى نقلت لنا رواية يعقوب ، إلا أننى سأخص رواته المشهورين بالذكر بخاصة راوياه المشهوران وهما :

رويس ، وروح ، وسأخص كلاً منهما بترجمة مناسبة بقدر مايسرته "الطبقات".

١) رُوح بن عبدالمؤمن :

وهو رُوح بن عبدالمؤمن أبو الحسن الهذلى ، مولاهم البصرى النحوى قال ابن الجزرى : كذا نسبه جماعة من الحفاظ والمحدثين ".(١)

وقد نقل ابن الجزرى بأن الأهوازى ذكر أن " روح " هو : روح بن عبدالمؤمن بن قرة بن خالد البصرى ، وذكر ابن الجزرى أيضا أن الدانى ذكر شخصا آخراسمه " رُوح " وهو رُوح بن عبدة بن مسلم مقرىء جليل ثقة ضابط مشهور وقد جعل الدانى هذا الاسم هو اسما آخر لروح المذكور سلفا ، إلا أنه فرق بين روح بن قرة ، وروح بن عبدالمؤمن ، وتبعه الذهبى(٢)، والهذلى فى كامله (٣)، وكذلك السيوطى ، وقد حاول ابن الجزرى أن يوفق بين هذين الاسمين ليكونا لشخص واحد ، ويكون ابن قرة نسبا للقبيلة ، وإن كان ابن الجزرى قد مال إلى متابعة من فرقوا بين روح بن عبدالمؤمن ، وروح ابن قرة بدليل تصريحه بهذا ، ثم تفريقه بين الشخصين بترجمتين مختلفتين لكل واحد منهما ترجمة مستقلة ونحن نتابع من فرقوا بين هذين الاسمين ونضيف إلى أدلتهم دليلا آخر وهو أن كثيرا من المؤرخين قد ذكروا فى ثبت تلامذة يعقوب هذين التلميذين وهما روح بن عبدالمؤمن راوى يعقوب

---

١) غاية النهاية ٢٨٥/١ ، و ٣٨٦/٢ ومابعدها .
٢) السابق .
٣) السابق .

المشهور وروح بن قرة [١]، هذا أمر وأمر آخر أقوى من هذا وهـو أن المؤرخين قد نصوا على اختلاف سنة وفاة روح بن قرة عن سنة وفاة روح بن عبدالمؤمن ، فقد ذكروا أن روح بن عبدالمؤمن قد مات فى سنة أربع أو خمس وثلاثين ومائتين [٢]، وذكروا أن روح بن قرة قد مات فى ٢٠٥ هـ [٣] وهذا التباين فى سنى الوفاة يعين - بجانب ماسبق - على القول بأن روح ابن عبدالمؤمن ليس هو روح بن قرة لكنهما تلميذان ليعقوب الحضرمى أخذ عن الأول منهما ابن الجزرى كل قراءة يعقوب ، ذلك لاشتهاره بالثقة والأمانة ، والعدل والضبط ، وتتلمذ على علماء آخرين غير يعقوب ، كان منهم :

أحمد بن موسى ، ومعاذ بن حماد بن شعيب صاحب خالد بن جبلة ، وكذلك أخذ عن محمدبن صالح المرى صاحب شبل .. [٤]

ولقد ثبت لدى السلف الحذاق أن روحا من الثقاة فيما نقله ، وليس هناك دليل أقوى حجة من اعتماد البخارى عليه وروايته عنه ، قال ابن الجزرى : وقد روى عن روح البخارى فى صحيحه . [٥]

ونقل ابن الجزرى بأنه مات فى أربع أو خمس وثلاثين ومائتين .

ولقد استقر لدى الثقاة بأن روحا من رواة يعقوب الحضرمى المشهورين وقد نقل روح هذا قراءة يعقوب الحضرمى نقلا أمينا صادقا وصف معه بالأمانة والصدق ، وقد تتلمذ على يد " روح بن عبدالمؤمن " تلاميذ كثيرون أصبحوا بعد وفاته علماء عصرهم ، كان منهم : الطيب بن الحسن بن حمدان القاضى وأبوبكر محمد بن وهب الثقفى ، ومحمد بن الحسن بن زياد وأحمد بن يزيد

---

١) غاية النهاية ٣٨٦/٢ ومابعدها .
٢) السابق .
٣) التاريخ الكبير للبخارى ٢٠٩/٣ والتاريخ الصغير ٣٤/٢ . والتذكرة ٤٢٥/٥ وطبقات الحفاظ للسيوطى ص ١٤٦ .
٤) غاية النهاية ٢٨٥/١ ومابعدها .
٥) السابق .

الحلوانى ، وأحمد بن يحيى الوكيل والزبير بن أحمد الزبيرى ، وعلى بن أحمد بن عبدالله الجلاب ، وعبدالله بن محمد الزعفرانى ومسلم بن مسلمة والحسن بن مسلم ..(١)

وقد تقدم سند روح من والى يعقوب الحضرمى وحتى عصر ابن الجزرى ..(٢)

ويعد روح بن عبدالمؤمن فى الطبقة السادسة للقراء(٣) وقد سبقه فى الطبقة الخامسة يعقوب الحضرمى (٤)

٢) رويس :

وهو محمد بن المتوكل أبو عبدالله اللؤلؤى البصرى المعروف برويس مقرىء حاذق ، ضابط مشهور وكان رويس جليلا صادقا بالقراءة ، وكان يأخذ على الماهر من تلاميذه بتخفيف الهمزة الثانية ، وقد روى عنه أيضا تحقيق الهمزتين ، وإن كان غير مشهور عنه.(٥)

ومما يشهد ليعقوب الحضرمى شيخ رويس بالرحمة والرفق على تلمذته ، وكذلك مما يشهد لعلو مكانة رويس لدى شيوخه أن أبا حاتم السجستانى قد روى أن رويسا قد كان زميلا له فى نقل قراءة يعقوب الحضرمى ، والتلمذة على يد يعقوب وقد كان يعقوب الحضرمى ينادى رويسا وقت أخذه عليه . هات: يالاك ، وأحسنت يالاك (٦)" قال أبوحاتم : وقد ختم رويس على يعقوب الحضرمى ختمات (٧) وكان رويس ينزل فى بنى مازن وعلى روايته عول ابن الجزرى ، إذ جعله مع روح بن عبدالمؤمن التلميذين اللذين يؤخذ عنهما المتواتر عن يعقوب الحضرمى وقد ذكروا أن رويسا مات سنة ثمان وثلاثين ومائتين .(٨)

---

١) غاية النهاية ٢٨٥/٢ ومابعدها .
٢) السابق .
٣) معرفة القراء الكبار ٢١٤/١ .
٤) السابق ١٧٠/١ .
٥) غاية النهاية ٢٣٤/٢ ، ٢٣٥ .
٦) السابق وتاريخ البخارى الكبير ٢١٠/٣ .
٧) معرفة القراء الكبار ٢١٦/١ ، والجرح والتعديل ١٠٥/٨ وتهذيب التهذيب ٤٢٤/٩ والخلاصة : لوحة ٣٥٧ .
٨) مراجع الهامش السابق .

ويعد رويس فى الطبقة السادسة من القراء[1]، لأن يعقوب الحضرمى يعد من الطبقة الخامسة كما سبق[2].

٣) أبوحاتم السجستانى :

وهو سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد أبوحاتم السجستانى ..[3]

وهو إمام أهل البصرة فى النحو والقراءة واللغة والعروض ، وهو امام جامع البصرة فى عصره ... وقد ذكروا أن أباحاتم يعد نزيل البصرة وعالمها .[4]

أما حديثهم عن علمه ، فقد قال المبرد ، لقد سمعت أباحاتم يقول قرأت كتاب سيبويه على الأخفش مرتين "[5] واذا ذكرت الرواية الكثيرة ذكر أبوحاتم فقد روى أبوحاتم عن أبى زيد ، وأبى عبيدة والأصمعى ، وله مصنفات كثيرة يضيق المقام عن ذكرها هنا ، ولقد ذكر بعض العلماء كلاما آخر فى شخصية أبى حاتم وعلمه قادحين فى علمه ، أو فى أخلاقه ، ولن نتابعهم فى هذا اكتفاء بما أحسن علماؤنا فى الرد به على هؤلاء القادحين.[6]

أما عن علاقته بيعقوب فقد كان أبوحاتم السجستانى من هؤلاء المدللين لدى يعقوب الحضرمى الجريئين عنده ، الممتحنين امتحانا ينم عن قدرتهم العلمية فى تخطى امتحان أساتذتهم بنجاح ورضى أساتذتهم ، قال أبوحاتم وكان جرئى على يعقوب الحضرمى ، ومنزلتى عنده فيمن يقرأ ، أن أجلس إلى جنب من يقرأ عليه فإذا فرغ أخذت من الموضع الذى يتركه ، فأقرأ عليه ، فجئت ذات يوم ، ورجل يقرأ عليه من سورة البقرة حتى انتهى إلى

---

١) معرفة القراء الكبار ٢١٤/١ .
٢) طبقات القراء للذهبى ١٣٠/١ .
٣) انباه الرواة للقفطى ٥٨/٢ ومابعدها ، وغاية النهاية ٣٢٠/١، ٣٢١ .
٤) السابقان .
٥) السابقان .
٦) السابقان .

قوله تعالى : وقال لَهُم نَبِيُّهُم " فابتدأت من هذا المكان حتى انتهيت إلى قوله سبحانه فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه " حصبنى ، وقال أحسن " أحسن" فأعدت الحرف من غير إدغام ، وقد كنت قرأت عليه الإدغام مرات كثيرة فقلت له : هذا لايجوز الإدغام فيه ، فقال : لِمَ فقلتُ له : هذا لايجوز فقال لِمَ ؟ وقد حدثنى غير واحد عن أبى عمرو أنه كان يدغم ، فقلت له : اتهم الرواة ، فإنهم لم يضبطوا عنه ، فقال وحدثنى وأكثر منه ... " فقلت هذا لايجوز ، لأن بينهما واواً ، وكيف تفخم الحرف بالحرف وبينهما حرف آخر . فقال لى اقرأ فقرأت ..(١) ومؤدى هذه ألقصة أن يعقوب الحضرمى كان كثيرا ما يحب التأكد من تلامذته ، ومدى استيعابهم لما تلقوه عنه سلفا وتفيد أيضا مدى مكانة أبى حاتم العلمية لدى يعقوب الحضرمى ودقة اجتيازه لهذا الامتحان (٢) الدليل على هذا ماحكاه أبوحاتم نفسه قائلا : بعد هذه القصة السالفة الذكر : وكان الأخفش النحوى يجلس خلف اسطوانة يعقوب ، فصرت الى الأخفش فسلمت عليه ، فقال يا رأس البغل، لعنك الله ، تأبى إلا أن تعلم مايعلم المشايخ والله لاقرأ يعقوب إلا كما قلت .(٣)

وكان الأخفش متأكد بصدق من مدى فهم وحفظ أبى حاتم لقراءة يعقوب ،وقد نقل العلماء قراءة أبى حاتم على يعقوب وروايته عنه ، وكان ثقة أمينا صادقا ، يشهد له فى هذا ورعه وتقواه فى قيامه الليل أثلاثا مع أبيه وأمه،ثم مع أمه ، ثم منفردا ..!!(٤)

---

١) السابقان .

٢) انباه الرواه : ٢٤٨/١ وكذلك فعل يعقوب بن اسحاق مع أبى حاتم ، اذ ختم عليه سبع ختمات ، وقيل خمسا وعشرين ختمه فأعطاه خاتمة وقال أقرىء الناس .

٣) السابقان .

٤) السابقان .

٤) وقد روى القراءة عن يعقوب أيضا – عرضا – زيد بن أحمد بن أخـــى يعقوب أحمد بن اسحاق الحضرمى – مع العلم بأن أحمد هذا كان أســـــــن من يعقوب ، وكان ثقة أمينا عالما مشهودا له بالعلم .

٥) كعب بن ابراهيم .

٦) وعمر السراج .

٧) وحميد بن الوزير المنهال ابن شاذان .

٨) وأبو بشر القطان .

٩) ومسلم بن سفيان المفسر .

١٠) ومحمد بن وهب الفزارى .

١١) الحسن بن مسلم الضرير ،

١٢) الحسن بن مسلم الضرير ، وكعب بن إبراهيم وعبدالله بن بحر الساجى

١٣) روح بن قرة ، وأيوب بن المتوكل .

١٤) وأحمد بن محمد الزجاج ، وأحمد بن شاذان

١٥) وعبدان بن يحى وداود بن أبى سالم .

وأبو الربيع الزهرانى ، والوليد بن حسان ، وأبو الفتح النحوى وأبو هشـــام الرفاعى ، وأبو عمر الدورى ، وورdان بن ابراهيم الأشرم ، وأحمد بن عبدالخالق المكفوف ، وأبو أيوب سليمان بن عبدالله الذهبى ، ومحمد بن عبدالخالـــق ، وفضل بن أحمد الهذلى وعبدالله بن بحر ، وعامر بن عبدالأعلى الدلال ، وفهـــد العقر ، وروى عنه حرف أبى عمرو بن العلاء حمدان بن محمد الساجى ، وأبـــو حفص عمرو بن على الفلاس ، وأبو قلابة ، ومحمد بن عباد ، ومحمد بن يونـــس الكديمى ، وأبو الربيع الزهرانى ، وعبدالله بن محمد بن يحيى الطرسوســـى وعقبة بن مكرم العمى ، ورزق الله بن موسى الحسين بن الصدائى ، وأحمد بن ثابت الجحدى ، وعبدالرحمن بن محمد بن سلام الطرسوسى ، ومحمد بن معمر البحرانى ويحى بن حكيم للمقوم ، وأبو العباس العكورى ، وأبو قلابه الرقاش والمازنى.(١)

١) انباه الرواة ٢٤٨/١ .

هؤلاء هم تلاميذ يعقوب ،قد أثبتهم هنا نقلا عن كتب الطبقات (١) .
لأثبت مدى اشتهار ، وانتشار قراءة يعقوب الحضرمى ، وهم الذين نقلت
لنا كتب القراءات أو كتب التفسير ،أو كتب الإعراب ،أو اللغة – قراءة
يعقوب الحضرمى عن طريقهم ... وقد اتضح إذن أن كل ماسيأتى منسوبا
ليعقوب – فى الفصل الثالث ، والفصل الرابع " سواء من كتاب ابن
الجزرى وأمثاله أم من الكتب الأخرى أمثال البحر المحيط ،ومختصر البديع
أم غيرهما من كتب المعانى والتفسير الأخرى يعد من قراءة يعقوب الحضرمى
التى ينبغى عدم حرمانها من الدراسة ،ليظهر أثرها فى كتب علمائنا
الأقدمين . ولابد من ذكر أن قراءة يعقوب الحضرمى فى الفصلين القادمين –
فصل الصرف ، وفصل النحو ، لم يقل لنا يعقوب أنه قصد الذى بسطنا القول
فيه من خلال دراسة قراءته ، بل هو محاولة منا للإفادة من التوجيه الصرفى
والنحوى الذى يمكن أخذه من قراءته .

أيضا فإن كلا من الفصل" الثالث "و" الرابع " القادمين لم يتخصصا
فى دراسة مستوى معين فقط من قراءة يعقوب بل إننى سأدرس فى هذين الفصلين
كل مانسب إلى يعقوب منفردا مما سمى متواترا على شرط ابن الجزرى ، وما
ورد فى كتب القراءات الأخرى ، وكتب معانى القرآن ، والتفسير المختلفة
سواء كانت هذه المادة المجموعة محكوما عليها بالتواتر أم بغير
ذلك ، المهم أنها ثبتت ليعقوب الحضرمى ، أو نسبت إليه ،ولم يشتهر عن
غيره أنه قرأ بها أما الذى شارك يعقوب غيره من القراء العشرة فى
القراءة به ، فلم أدرسه ،لأنه مما لايعد مذهبا ليعقوب ، بالإضافة إلى
أن مظنة كونه درس فى مؤلفات أخرى قائمة ،لذلك فإن دراسة ماتفرد به
يعقوب الحضرمى – صرفا ونحوا – أَوْلَى هنا من غيره ..

---

١) غاية النهاية ٣٨٦/٢ ومابعدها ، و ٣٥٨/٢ وتهذيب التهذيب ١٨٢/١١ وغاية النهاية ٢٩٦/١ و ٢٥٩/٢ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

الفصل الثالث

قراءة يعقوب الحضرمي دراسة صرفية

الفصل الثالث

قراءة يعقوب الحضرمي دراسة صرفية

١ ـ الإدغام والتقاء الساكنين .

٢ ـ الوقف : أ ـ بهاء السكت ب ـ بإثبات الياء

٣ ـ ضم هاء الضمير في : عليهما ، وإليهم ، ولديهم ، وأمثلتها ..

٤ ـ كسر تاء المضارعة .

٥ ـ جمع التكسير ، وجمع المؤنث السالم .

٦ ـ بعض أبنية المصدر الثلاثي في قراءة يعقوب .

٧ ـ اشتقاق اسم الفاعل .

٨ ـ تعاور معاني بعض المشتقات .

٩ ـ النسب في قراءة يعقوب الحضرمي .

١٠ـ الإعلال والإبدال .

– – – –

١ـ الإدغام والتقاء الساكنين

ـ الإدغـــام :

يقول ابن الجزرى : " الإدغام هو اللفظ بحرفين حرفاً كالثانى مشددا وينقسم إلى كبيروصغير :

فالكبير: ماكان الأول من الحرفين فيه متحركا ، مثلين أو متقاربين

والصغير : هو الذى يكون الأول منهما ساكنا .... "(١)

ويشترط العلماء لتحقق وجوب الإدغام أحد عشر شرطا، سبعة منهـــا إذا لم تتحقق امتنع إدغام أول المثلين المتحركين (٢)، وشرط ثامـــن مرهون بألا يكون الحرفان المدغمان فى كلمتين فإن كانا فى كلمتين جـــاز الإدغام نحو : " جَعَلَ لَكَ "(٣).

ويلحق بالشرط الثامن أيضا ثلاثة شروط أخرى اشترطها النحويـــون لوجوب الإدغام(٤)، لكنهم نقلوا فيها الجواز برغم تحققها، وألحقوا بهذه الثلاثةِ ثلاثةً أخرى(٥) أجازوا فيها الإدغام وهذه المسائل الثلاثة الأخيـرة يكون الإدغام فيها جائزا برغم تحقق الشروط فى كل منها، وهى :

---

١) النشر : ٣٠٢/١ ومابعدها .

٢) الشروط السبعة هى كما فى الأوضح: ١ ـ أن يكون الحرفان المدغمان فـــى كلمة واحدة مثل : شَدَّ ، ٢ ـ ألا يكونا فى بداية الكلمة . ٣ ـ ألا يتصل أولهما بمدغم مثل : جُسَّ ٤ ـ ألا يكونا فى كلمة ملحقة بوزن آخـــر مثل : مهدد، ٥ ـ ألا يكون فى كلمة على وزن فَعَل ، ٦ ـ أو فُعُـــل ، ٧ ـ أو فِعَل ، ٨ ـ أو فُعَل .

٣) راجع الشرط الأول السابق .

٤) الشروط الثلاثة المكملة للأحد عشر شرطا المنصوص عليها هى :
١ ـ ألا تكون حركة أحد الحرفين عارضة كما فى مثل : اخْصُصْ ،٢ ـ وألا يكون المثلان يائين لازما تحريك ثانيهما نحو : حَيِيَ، وعَيِيَ، ٣ ـ وألا يكونا تائين فى افتعل ، مثل : اقْتَتَل ، فتقول : قَتَّل ، يقتِّـــل
راجع الأوضح : ٢٥٠/٣ و ٢٥١/٣ ومابعدها، وانظر / شرح التصريح ٤٠١/٢

٥) ستأتى بعدُ .

١ - فى المضارع المبدوء بتاءين زائدتين : مثل : ولا تَتَبَرَّجْنَ(١)

٢ - فى المضارع المجزوم ، مثل : مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ"(٢)

٣ - فى الأمر مثل : " اغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ "(٣)

ففى هذه الامثلة الثلاثة يجوز الإدغام فيها ، ويجوز فيها الفك وهذا رأى بعض النحويين ، أو بعضهم دون بعض "(٤).

وأما قراء القرآن الكريم فيرون أن الإدغام فى مثل هذه المسائل الثلاثة الأخيرة جائز مطلقا(٥)، ومن هؤلاء القراء يعقوب بن إسحق الحضرمى إذ ورد أن يعقوب الحضرمى قرأ بإدغام التاءين من أول المضارع فى : "تَتَمَارَى "(٦) من قوله تعالى : فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى "(٧) وفى " تَتَفَكَّرُوا" من قوله تعالى : " ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ"(٨) برواية رويس فى الأخيرة ... "(٩).

وقراءة يعقوب هنا خاصة بالوصل دون الابتداء ، فإن ابْتُدِئَ ليعقوب فى الأول ابْتُدِئَ له بتاءين ، وكذلك لرويس فى الثانية(١٠).

لكن النحويين اضطربوا فى دراسة مثل هاتين التاءين(١١).

فرأى بعضهم أن إدغام التاءين فى أول الماضى لايحتاج إلى شىء والقياس والسماع يؤيده ، لكن إدغام هاتين التاءين فى أول المضارع - بعد حرف لين، أو متحرك - فيه صعوبة ؛ لذلك يحتاج إدغام هاتين

---

١) الأحزاب : ٣٣

٢) سورة : المائدة : ٥٤

٣) لقمان : ١٩

٤) السابق .

٥) دراسات لأسلوب القرآن : القسم الثانى ج ٤/ ٧٥٠

٦) النشر : ٣٠٢/١ ومابعدها .

٧) النجم : ٥٥

٨) سبأ : ٤٦ .

٩) النشر : ٣٠٢/١ .

١٠) السابق : ٣٠٣/١ .

١١) غيث النفع : ٤٩ -٥٠ .

التاءين إلى همزة وصل يسهل نطق هاتين التاءين تاء واحدة مدغمة، مشددة (١).

ورأى آخرون أن المضارع لم يخلق الله له ألف وصل في أوله، ووجودها يتنافى مع كونه مضارعا، ولذلك لايصح القول باجتلاب ألف وصل في أول المضارع المدغم أوله (٢).

ونقل الشيخ " يس " خلاف النحويين فيما بينهم في هذه المسألة مؤيدا قول ابن مالك، وابنه في هذه المسألة، بصحة اجتلاب هذه الألف للتمكن من نطق هاتين التاءين تاء واحدة مشددة (٣).

والحقيقة أن مارواه القراء في باب الإدغام جاء بالإدغام المطلق في مثل هذه المسألة دون نظر إلى شروط النحاة، أو بعض النحاة - التي تتناسى الرواية الصحيحة - والدليل على ذلك قراءة يعقوب بإدغام التاءين في أول المضارع بعد حرف صحيح متحرك (٤).

والدليل على ذلك أيضا قراءة البزي بإدغام التاءين في أول المضارع بعد حرف صحيح ساكن كما في مثل: "وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ ..." (٥).

وغير ذلك كثير مما يدل على أن كثرة شروط الإدغام الواردة في هذا الباب محتاجة إلى إعادة نظر، يعين على صحة القول بأهمية وحتمية التوسع في شروط الإدغام السابقة، لتستوعب كل ماأورده القراء مما يفيد لغتنا .

هذا وقد وردت حالات أخرى في إدغام يعقوب الحضرمي وهي:

١ - إدغام "التاء" في السين في حرفين:

الأول: ورد في قوله سبحانه: "وإنْ يَأْتِ الأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُم" (٦). إذ ورد أن يعقوب الحضرمي

---

١) شرح التصريح: ٢/٤٠٠ - ٤٠١
٢) السابق ، وشرح المبدع في التصريف: ص ٢٧٨ .
٣) شرح التصريح: ٢/٤٠٠ .
٤) دراسات لأسلوب القرآن: ٢/٤/٧٦٩ .
٥) شرح التصريح: ٢/٤٠١ ، والآية من سورة آل عمران ١٤٣
٦) الأحزاب: ٢٠ .

قرأ : يسَّاءلون... (١) بتشديد السين ، وذلك في رواية رويس ، والفرق بين يسألون، ويتساءلون ، ويسَّاءلون هو أن " يتساءلون " تحولت إلى يسَّاءلون عن طريق إسكان التاء ، وإدغامها في السين ، فأصبحت : يسَّاءلون ، ويؤيد هذا أمران : أولهما : أنه ورد عن يعقوب من رواية رويس أنه قرأ : يتساءلون (٢) ، ثانيهما : أن علماء اللغة يؤيدون مثل هذا الإدغام ولايرفضونه ، أيضا فالقول بأن " يتساءلون " يمكن أن يكون أصلا لـ " يسَّاءلون" وأن الأخيرة متطورة عن الأولى يؤيده ماحاول ابن جني أن يقنع الناس به عندما علق على بعض مسائله بقوله : "وهذا دليل على صحة قولنا إن أصل كذا كذا .... "(٣).

الثاني : ورد في قوله - سبحانه - : وهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تَسَّاقَطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ... "(٤).

فقد ورد أن يعقوب الحضرمي قرأ : يسَّاقط ... "(٥) وهذا أيضا شبيه بما سبق ؛ ويؤيده قول العكبري : وقد قرئ : "يسَّاقط " ، والأصل "يتساقط " ، فأدغمت " التاء " في " السين "(٦).

٢ - إدغام التاء في الصاد ، ومايسمى بإلقاء الحركة ...

ورد هذا في قوله - سبحانه - : فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا ، وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ "(٧).

إذ رُوِيَ أن يعقوبَ الحضرميّ قرأ : يَخَصِّفَان "(٨)

وذلك في مادة هذه الكلمة في كل القرآن ...

---

١) النشر : ٣٤٨/٢ .
٢) القرطبي: ١٥٥/١٤ .
٣) الخصائص : ٣٦٠/٢، ٧٥،٧٤/١ .
٤) مريم : ٢٥ .
٥) النشر : ٣١٨/٢ .
٦) العكبري : ٦٢/٢، تهذيب اللغة : سقط .
٧) الأعراف : ٢٢ .
٨) البحر المحيط : ٢٨٠/٤، القرطبي : ٢٦١٧/٤ .

بفتح الخاء وتشديد الصاد مع كسرها .. وهذا الأداء له مايؤيده من لغة العرب، وآرائهم، يقول ابن جنى: ومَنْ قرأ يَخَصِّفَان - بفتح الخاء وتشديد الصاد - فإنه أراد أيضا إدغام التاء فى الصاد، فأسكنها على العِبْرة فى ذلك، ثم نقل الفتحة إلى الخاء، فصار يَخَصِّفَان "(١) وفى هذا مايفيد بأن " يَخَصِّفَان " أصلُها " يَخْتَصِفَان " (٢).

ثم أدغم "التاء" فى الصاد، وفى هذا وغيره دليل على صحة قول ابن جنى السابق...

أما عن سبب لجوء العربى إلى الإدغام عامة، فهو كما يقول ابن يعيش هو "طلبهم للخفة وإيثارهم لها، وذلك لأن إعادة اللسان إلى موضع قريب مما رفعته عنه كإعادته إلى نفس الموضع الذى رفع عنه ..."(٣).

- التخلص من التقاء الساكنين :

ورد هذا فى قراءة يعقوب الحضرمى لقوله - سبحانه -: إِنَّ الْمُتَّقِينَ فى جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ... "(٤).

فقد ورد أن يعقوب الحَضْرَمِىّ قرأ بتحريك تنوين " نون " "عُيُونٍ" بالضم أو إلى الضم "(٥).

وهذا جائز فى العربية، وارد عن العرب، وذلك لأن العرب كانوا إذا أرادوا عدم الجمع بين ساكنين حركوا أولهما بالكسرة ؛ لأنها الأصلُ فى هذا(٦)، أو حركوه إلى فتح أو ضم "، ذلك لأن الجمع بين ساكنين قد يكون غير مقبول أحيانا، أو ربما لاتتقبله الأذن، وإن كان واردا منه الكثير المقبول، وقراءة يعقوب السابقة تؤيد التخلص من التقاء الساكنين بتحريك الأول منهما إلى الضم، وهذا أمر مستساغ، إلا أن المبرد

---

١) المحتسب: ٢٤٥/١، العكبرى: ١٥٧/١ .

٢) ويؤيد هذا قول الفراء فى قوله - سبحانه -: "وجاء المعذرون.." قال: المُعَذِّرُونَ أصلُها، المُعْتَذِرُون ثم أدغمت التاء فى الذال، فصارتا جميعا، ذالا، وهذا مثل: يَخَصِّمُون، لمن فتح الخاء، فأصلُها يَخْتَصِمُون .. اهـ انظر الفراء ٤٤٧/١ . ويؤيد هذا أيضا قول الأخفش سعيد بن مسعدة: يَخَصِّفَان: جعلها من يَخْتَصِفَان، فأدغم التاء فى الصاد فسكنته ومنهم من يفتح الخاء ويحول عليها حركة التاء . معانى القرآن: ٢٩٦/٢ .

٣) شرح المفصل لابن يعيش: ١٠/ ١٣١ (٤) الحجر: ٤٥، ٤٦

٥) النشر: ٣٠١/٢ (٦) المقتضب: ١٧٤/٣

يرى أن التخلص من التقاء الساكنين إلى غير الكسر قد لايكون ناجحا في غير التنوين ، لذا كان التخلص بالكسر عنده هو الأصل في مثل هذا الباب [١]، وإن ورد غيره مما لا خلاف في قبوله .

٢ - الوقف :

أ - الوقف "بهاء السكت" :

ويسميها الهروى " هاء الاستراحة " وتبعه في ذلك آخرون [٢]، وتفيد كل من التسميتين أن هذه الهاء يؤتى بها في آخر الكلمة المراد الوقف عليها ، أو الاستراحة بعد نطقها ، تسمح للمتكلم أن يستأنف كلامه بكلمة جديدة .

ولاتلحق هذه الهاء أى كلمة ، بل لابد من تحقق شروط في الكلمة المراد إلحاق " هاء السكت " بها ، وهذه الشروط هي :

١ - أن تكون الكلمة مبنية .

٢ - أن تكون حركة بنائها لازمة .

٣ - ألاتشبه المعرب [٣]

فإذا تحققت هذه الشروط الثلاثة مجتمعة ، جاز إلحاق "هاء السكت" بهذه الكلمة ، فإن اختل شرط منها امتنع إلحاق "الهاء" . هذا هو ضابط جواز إلحاق " هاء السكت " ببعض الكلمات ، عند جمهور النحويين .

---

١) المقتضب : ١٧٤/٣ .

٢) الهروى : على بن محمد النحوى ، الأزهية في علم الحروف ص ٢٥٦ .

٣) نصت أغلب كتب النحو على هذه الشروط التي تجيز إلحاق " هاء السكت" بالكلمة ونصت على شروط أخرى توجب إلحاق هاء السكت بالكلمة ، وسأشير إليها بعد ، انظر على سبيل المثال لا الحصر : الكتاب : ٢٧٨/٢ ، ومابعدها والخصائص : ٣٥/٣ - ٣٦ .
وشرح عمدة الحافظ : ص ٩٧٦ ، وبقية شراح الألفية ...
وكافية ابن الحاجب : ٤٠٨/٢ ومابعدها ، وكذلك الشافية ...

يبقى أن أعرض هذه الأحكام ، وضوابطها على قراءة يعقوب الحضرمي على النحو التالي :

ورد أن يعقوب الحضرمي قرأ بإلحاق هاء السكت في بعض كلمات في القرآن الكريم (١).

ويمكن تقسيم هذه الكلمات بقراءة يعقوب إلى ما يلي :

أ - (١) هو ، وهي : في كل القرآن ،ورد أن يعقوب الحضرمي قرأ : هوه ،هيه ، بإلحاق هاء السكت بكل منهما ، كيف جاءت كل منهما، وحيثما وقعت(٢)..

ويلاحظ أن الشروط التي رآها جمهور النحاة قد تحققت في هاتين اللفظتين ، حيث إن كلا منهما مبنية ، وحركة بنائها لازمة ، وكل منهما لاتشبه المعرب ، لذا جاز إلحاق هاء السكت بكل منهما .

ويرى النحاة تفسيرا وجيها لإلحاق هاء السكت بهذه الكلمات ، مفاد هذا التفسير أن العرب كرهوا أن يذهب الوقف بحركة لازمة ، وهي حركة بناء لفظة " هو" و"هي "إذ لو وقفوا على أي منهما لأسكنوا " الواو" وذهبوا بحركتها اللازمة ، وهذا إخلال بها ، من أجل ذلك جاءوا " بهاء السكت " وألحقوها- عند الوقف بمثل هذه الكلمات ، فيوقف بالسكون على " هاء السكت" ويظل آخر مثل هذه الكلمة مبنيا ، أي : تبقى حركته في الوقف ، والوصل ،كما هي على ماقبل " هاء السكت " .

---

١) نص على هذا ابن الجزري وغيره ، لكن ابن الجزري فصل الحديث في "هاء السكت " على قراءة يعقوب الحضرمي ثم غيره ، لذا فإننا اعتمدنا عليه دون غيره في نقل قراءة يعقوب في " هاء السكت" راجع النشر: ٢/٣٠١، ومابعدها .

٢) انظر على سبيل المثال قوله -تعالى-:" قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ " البقرة ٦٦ .
وقوله تعالى:" قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَاهِيَ " البقرة ٦٨ .
انظر النشر : ٢/٣٠١ .

ويؤكد ماضي قول سيبويه : وقالوا : هيه ، وهم يريدون هي ، شبهوها ببياء " بعدى "(١)، وقالوا : هوه و لما كانت الواو لا تصرف للإعراب كرهوا أن يلزموها الإسكان في الوقف (٢).

ويتابع ابن هشام سيبويه في هذا ، ويستشهد لصحة ذلك بقول حسان ابن ثابت :

إِذَا مَاتَرَعْرَعَ فِينَا الْغُلَامُ ... فَمَا أَنْ يُقَالَ لَهُ مَنْ هُوَهْ (٣)

ثم قال ابن هشام : ومن لم يفتح وقف بالسكون ، ولم يأت بهاء السكت ، لعدم فائدتها .... "(٤).

وكلام ابن هشام السابق مشابه لكلام سيبويه عند حديثه عن جواز إلحاق " هاء السكت" ببعض المواضع وذلك حيث يقول : لأن ناسا من العرب ، وهم كثيرون ، لايلحقون الهاء في مثل هذه المواضع عند الوقف"(٥)، لذا فهي جائزة وليست واجبة في مثل هذا الموضع . وليس هناك خلاف يذكر بين

---

١) يمكن إلحاق هاء السكت "بياء" المتكلم ، بشرط أن تفتح هذه الياء، لكن قراءة يعقوب في مثل هذه الياء وردت بإسكانها وعليه فلم يلحق يعقوب هاء السكت ، في ياء المتكلم ... انظر النشر : ١٣٦/٢ .

٢) الكتاب : ٢٧٩/٢ .

٣) قال يس : قال بعضهم : زعم حسان بن ثابت أن الغول لقيته في بعض السكك، فألقته على ظهره ، وجلست على صدره وقالت : لئن لم تقل شعرا على قافية واحدة لأقتلنك فقال :

إِذَا مَاتَرَعْرَعَ فِينَا الْغُلَامُ ... فَمَا أَنْ يُقَالَ لَهُ مَنْ هُوَهْ

قالت : ثن ، فقال : إذا لم يسد قبل شد الازار: فذلك فينا الذى لا هوه فقالت : ثلث ،فقال : ولى صاحب من بنى الشيصبان ... فطورا أقول وطورا هوه .

راجع : شرح التصريح : ٣٤٥/٢، ويلاحظ على هذه الحكاية الخيال والصنعة من أجل خلق أبيات تناسب قاعدة، هاء السكت"، والتى لاتحتاج إلى تأكيد بمثل هذه الأبيات بعدما وردت لها شواهد قرآنية من قراءة يعقوب وغيره .

٤) السابق

٥) الكتاب: ٢٧٩/٢ .

النحاة حول جواز إلحاق هاء السكت فى هذا الموضع - هو ، هى - عند الوقف .

(٢) ما الاستفهامية ، المجرورة ، بحرف جر كما فى نحو : لم ، وفيم ، عم (١) (٢) ، فقد ورد أن يعقوب الحضرمى قرأ بإلحاق " هاء السكت " بما الاستفهامية المجرورة بحرف جر فى كل القرآن ، لتكون هذه الكلمة بقراءة يعقوب : لمه ، فيمه ، عمه ... وهكذا (٣).

ولقد تحققت شروط النحاة فى هذه الكلمة ، هذا بالإضافة إلى تحقق شرط آخر أضافه الأشمونى إلى شروط " ما " الاستفهامية التى تلحقها " هاء السكت" عند ذكره ما أهمله المصنف ، قائلا : أهمل المصنف من شروط حذف ألفها ألا تركب مع " ذا" فإن ركبت معها ، لم تحذف الألف ، نحو : على ماذا تلومننى " وقد أشار إليه فى التسهيل ، ونقله المرادى .

الثانى : سبب هذا الحذف - أى حذف ألف " ما الاستفهامية" وإلحاقها "الهاء " - إرادة التفريق بينها وبين الموصولة ، والشرطية ، لأن الاستفهامية أولى بحذف ألفها لاستقلالها ، بخلاف الشرطية ، فإنها متعلقة بما بعدها ، وبخلاف الموصولة فإنها والصلة اسم واحد ... "(٤).

إلا أن الأشمونى يذكر أنه ورد عن العرب تسكين ميم " ما" الاستفهامية بعد جرها بحرف جر ، وحذف ألفها ، وذلك فى قول الشاعر :

يَا أَسَدِيٌّ لِمْ أَكَلْتَهُ لِمَهْ ؟
لَو خَافَكَ اللَّهُ عَلَيهِ حَرَّمَهْ (٥)

---

١) مثال ذلك قوله - تعالى -: " قل فلم تقتلون أنبياء الله .." البقرة ٩١

٢) مثال ذلك قوله - تعالى -: " عم يتساءلون". النبأ - ١

٣) النشر : ١٣٤/٢ قال ابن الجزرى : "ما" الاستفهامية المجرورة بحرف الجر ووقعت فى خمس كلمات :" عم، وفيم ، وبم ، ولم ، ومم" قال ابن الجزرى فاختلفوا فى الوقف عليها ليعقوب والبزى، ...ثم قال وبالوجهين - أى إلحاقها وعدم إلحاقها - أخذ ليعقوب فى الأحرف الخمسة لثبوتها عندى عنه من روايتيه ... "

٤) الأشمونى : ٧٥٧/٣ - ٧٦١ وحاشية الخضرى : ١٧٨/٢ .

٥) لم أعثر على قائل لهذا البيت .
والشاهد فى "لم أكلته" ورود "ميم" "لم" ساكنة فى الوقف والوصل، وكذلك ورودها متحركة ملحوقة بهاء السكت فى آخر الشطر الأول : لمه .

وقول الشاعر : يَا أَبَا الأَسْوَدِ لِمْ خَلَّفْتَنِي ... لِهُمُومٍ طَارِقَاتٍ وَذِكَــــر (١)

ويسميه الأشمونى " ضرورة "(٢)، لأن فيه إجحافا لهذا الحرف بلا تعويض له عما حذف منه ، فكان من الأولى أن يحافظ على حركة الميم بعد حذف الألف ، حتى لايجتمع على الكلمة إجحافان ، حذف الألف(٣)، وحذف حركة الميم .

٣ - ويلتى(٤)، وواحسرتى(٥).....

ورد أن يعقوب الحضرمى قرأها : ويلتاه ، واحسرتاه ، وقفا(٦)

ويذكر سيبويه سبب جواز إلحاقهم هاء السكت الألف التى فى النداء، والألف والياء والواو فى الندبة بقوله : لأنه موضع تصويت وتبيين فأرادوا أن يميزوا فألزموها فى الوقف لذلك ، وتركوها فى الوصل ؛ لأنه يستغنى عنها فى المتحرك فى الوصل ، لأنه يجىء مايقوم مقامها، وذلك قولك ياغلاماه، ووازيداه ، وواغلامهوه ، وواذهاب غلامهيه ."أ. هـ (٧).

---

١) لم يسم قائل هذا البيت وهو فى الخزانة : ١٩٧/٣، والشاهد فيه :تسكين ميم" لم" .

٢) الأشمونى: ٧٥٧/٣ - ٧٦١ .

٣) وتدورد أيضا الوقف على " ما" الاستفهامية بالألف ، برغم جرها بحرف جر ، وذلك مثل قول حسان بن ثابت :
عَلَامَا قَامَ يَشْتُمُنِي لَئِيمٌ ... كَخِنْزِيرٍ تَمَرَّغَ فِي تُرَابٍ. راجع ديوان حسان ابن ثابت : ص ٧٩، طبعة القاهرة ، سنة ١٩٣٧ هـ ، وشرح التصريح ٣٤٥/٢، وتلحق"هاء السكت" ما الاستفهامية وجوبا إذا أضيفت ما الاستفهامية إلى اسم مثل : مجىء م جئت" فإذا وقف عليها وقف بهاء السكت وجوبا . انظر: الكتاب٢٨٠/٢ - وتلحق هاء السكت وجوبا الفعل الذى بقى على حرف واحدمثل " ره" من رأى ، أما إلحاقها الفعل الباقى على حرفين حتى ولو كان أحدهما زائدا فإنها تلحقه جوازا خلافا لابن مالك .... " انظر : حاشية الخضرى : ١٧٨/٢،والأشمونى : ٧٥٧/٣ .

٤) سورة : هود ٧٢ .

٥) يقاس عليها : أسفاه ، يوسف ٨٤.

٦) النشر : ١٣٦/٢ .

٧) الكتاب : ٢٨٠/٢ ، والأزهية : ٢٥٦ - ٢٥٨ .

وواضح من خلال هذا النص أن قراءة يعقوب بإلحاق مثل هذه الكلمات "هاء السكت" - جاءت على مانطقت به العرب . ولقد أكد هذا ابن يعيش وغيره من المتأخرين ، وذلك عند تحدثه بإفاضة حول صحة جواز إلحاق "هاء السكت" في مثل " وازيداه " واغلاماه " قائلا : ولقد وردت هذه الهاء لبيان ألف الندبة نحو : وازيداه ، وواغلاماه ... ، لأن هذه الألف خفية ، والوقف عليها يزيدها خفاء ، فبينوها بالهاء ، فإن قلت لم مثلت بالنكرة ، وأنت لاتجيز أن تندب نكرة ؟ ، قيل : المراد : غلامي بياء ساكنة ، وأنت إذا ندبت ماهذه حاله ، فلك فيه فتح الياء، لالتقاء الساكنين - والآخر الحذف ..... "(1).

ب - وتجمع هذه المجموعة الكلمات التي جيء لها " بهاء السكت " عند الوقف ، بسبب الخوف من التقاء الساكنين وبرغم هذا فإن إلحاق " هاء السكت" بآخر هذه الكلمات - الآتية بعد - جائز وليس واجبا ، وهذه الكلمات هي :

١ - " ثم "(2) و" هلم "(3) قرأهما يعقوب : ثمه وهلمه(4)، ويقول سيبويه : ومثل ذلك قولهم : ثمه ، لأن في هذا الحرف ما في " أين " أن ما قبله ساكن، وهي خفية كالنون ، وهي أشبه الحروف بها في الصوت ، فلذلك كانت مثلها في الخفاء ... ومثل ذلك قولهم : هلمه : يريد هلم : قال الراجز :

يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا هَلُمَّهْ .

وإنما يريد : هلم "(5)

٢ - الكلمات المنتهية بنون جمع المؤنث السالم مثل : هن(6) وعليهن(7)... ورد أن يعقوب الحضرمي قرأ : هُنَّه وَعَلَيهِنَّه(8) ويلحق

---

1) شرح المفصل : ١٠/ ٢ ، وحاشية الخضري : ٢ /٧١
2) سورة : مريم : ٧٢
3) سورة : الأحزاب : ١٨ .
4) النشر : ١٣٧/٢ .
5) لم يعرف قائل هذا الرجز ، راجع الكتاب : ٢٧٨/٢ - ٧٩
6) سورة : آل عمران، ٧
7) سورة : النساء :٢٥ .
8) النشر : ١٣٧/٢ .

سيبويه معهما فى الحكم ضربتنه ، ويقول : فكرهوا أن يسكن ويسكن ماقبله وهذا إخلال به.... "(١).

ولقدقاس سيبويه ضربتنه ، وذهبتنه على هنه مع أن الأولى والثانية "أفعال " والثالثة ليست فعلا وإلحاق هاء السكت بالأفعال غير المحذوف من آخرها حرفان فيه نظر ، لأن إلحاق " الهاء " بالفعل يؤدى إلى الوقوع فى لبس فى التفريق بين هاء السكت وهاء الضمير " المفعول به "(٢)

إلا أن مثل هذه الأفعال لا يؤدى إلحاق " هاء السكت " بها بعد هذه النون المشددة يعين كثيرا على القول بأن الهاء هنا هى " هاء السكت "وليست غيرها .

وحول إلحاق "هاء السكت" بمثل "هن" وهلم جوازا جاء فى الكافية : ... ودخول هاء السكت فيما قبل آخره ساكن أقوى وأكثر من دخولها فيما قبل آخره متحرك ،حتى لا يجتمع ساكنان لو أسكن الآخر ... "(٣)

٣ - الكلمات المنتهية بنون مشددة غير نون جمع الإناث مثل : " إن " قال ابن الجزرى وقياس ذلك " كأن " (٤)ورد أن يعقوب الحضرمى قرأ "أنه " ولكنه ... وقفا انفرد بذلك الدانى ... (٥)قال ابن الجزرى: وقياس ذلك " كأن" .

والملاحظ على هذه الأدوات وماماثلها سواء كان أداة أو غير أداة - أن خوف التقاء الساكنين كان سببا فى إلحاق هاء السكت بها عند الوقف .

لكن إلحاق " هاء السكت " ينبغى ألا يوقع فى لبس اختلاطها بها الضمير فى مثل : محمد إنه محترم . حيث إن اعتبار الهاء هنا ضميرا

١) الكتاب : ٢٧٨/٢
٢) الأشمونى : ٧٥٧/٣/٢ ومابعدها ، وشرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ ص ٥٤٠ .
٣) الكافية : ٤٠٨/٢ ومابعدها .
٤) النشر : ١٣٤/٢، انظر مثلا البقرة ٢٦ .
٥) النشر : ١٣٥/٢، وانظر البقرة : ٢٦، ١٧٧ على سبيل المثال .

أولى من اعتبارها " هاء السكت " .

لذلك فقد نص سيبويه على أن " إن " فى مثل قراءة يعقوب بمعنى: أجل ، وعلى ذلك:فلايوجد لها اسم أو خبر . واستشهد لصحة ذلك بقول الشاعر :

وَيَقُلْنَ شَيْبٌ قَدْ عَلَاكَ وَقَدْ كَبِرْتَ فَقُلْتُ إِنَّهْ (١)

٤ - الكلمات المنتهية بياء مشددة مثل : لَدَيَّ(٢) ، مُصْرِخِيَّ(٣)ورد أن يعقوب الحضرمى قرأها : لَدَيَّهْ ، ومُصْرِخِيَّهْ(٤).

ويرى سيبويه أن السبب فى صحة جواز إلحاق هاء السكت فى مثل هذه الكلمات هو أنها جمعت أنها خفية وأن قبلها ساكن فأجريت مجرى : مسلمونه ونعلينه (٥)..

٥ - الكلمات المنتهية : بنون جمع المذكر السالم - الأسماء دون الأفعال الخمسة مثل : مسلمون ... فقد ورد أن يعقوب الحضرمى قرأ : مسلمونه (٦)..

وكما قال سيبويه :فيما سبق حول " لدى "أنها جمعت أنها خفية ، وأن قبلها ساكن ،فأجريت مجرى " مسلمونه "(٧)

---

١) الكتاب : ٢٧٩/٢ ،وقائل هذا البيت هو عبد الله بن قيس الرقيات وقبل هذا البيت : بكر العواذل فى الصبوح يلمننى وألومهنه . راجع شرح المغنى شاهد رقم : ١٢٦ ، واللسان مادة : إن ، وخزانة الأدب :٤٨٥/٤، والشاهد فى البيتهو إلحاق هاء السكت ب " إن " لتصبح " إنه" والهاء هنا تعرب حرفا لا محل لها من الإعراب ، و"إن" هنا أيضا : حرف جواب بمعنى "نعم" .

٢) سورة : ق : ٢٩ .

٣) سورة إبراهيم : ٣٤ .

٤) النشر : ١٣٤،١٣٣/٢ .

٥) الكتاب : ٢٧٩/٢.

٦) النشر : ١٣٦/٢، وهذا التقييد رضيه ابن الجزرى ونقله عن علماء العربية ،ونص أن يعقوب الحضرمى لم يرد له فى الفعل إلحاق "هاء السكت ويقصد بالفعل - الفعل المضارع مثل : يسلمون، يعلمون "رفعا ،وانظر مثل هذه اللقطة فى سورة البقرة : ١٣٠ - ١٣٣ ، وليس ١٣٤ .

٧) الكتاب ٢٧٩/٢ .

أى أن لفظة "مسلمونه " عندما وقف عليها أسكنت نونها، فاجتمع ساكنان ،سكون النون ،وسكون الواو قبلها ، وأن النون حرف خفى ، فكرهوا أن يسكنوا النون ، فبينوا حركتها بإلحاقها "هاء السكت" عند الوقف (١).

ويلاحظ أن سيبويه قد جعل المثنى والجمع فى حكم واحد ، وهو صحة إلحاق الهاء بهما عند الوقف .

وبرغم أن قراءة يعقوب قد وردت فى الجمع دون المثنى ،إلا أننا نوافق سيبويه على هذا .

ولا نوافق الآراء التى تلحق هاء السكت بالأفعال أيا كانت هذه الأفعال ،متعدية أم لازمة ، من الأمثلة الخمسة أم من غيرها، والسبب فى ذلك خوف اللبس ونادرا مايؤمن اللبس فى مثل هذه المواضع ، فإن أمن اللبس فلا بأس (٢).

هذا كل مايتعلق بأحكام " هاء السكت " من حيث أحكامها والمواضع الجائز إلحاقها بها ، والسبب فى ذلك كله ...

يبقى بعد هذا أن أشير إلى أن بعض القدماء قد ظن - خطأ - أن إلحاق هذه الهاء بالكلم الفصيح قد يؤدى إلى الحكم عليه بأنه كلام رخو ، قال الزجاجي : مجلس أبى عمرو بن العلاء مع رجل من أهل المدينة حدثنا أبو هفان ،قال : قال مصعب الزبيرى ، أنشد رجل من أهل المدينة أباعمرو بن العلاء قول ابن قيس الرقيات :

إِنَّ الْحَوَادِثَ بِالْمَدِينَةِ ... أَوْجَعْنَنِى وَقَرَعْنَ مَرْوَتِيَهْ (٣)

فانتهره أبو عمرو ،وقال له : مالنا ولهذا الشعر الرخو !، إن هذه الهاء لم تدخل فى شىء من الكلام إلا أرخته ، فقال المدنى : قاتلك الله يا أبا عمرو . ما أجهلك بكلام العرب !! قال الله-عز وجل-فى كتابه العزيز : "مَا أَغْنَى عَنِّى مَالِيَهْ (٤)، هَلَكَ عَنِّى سُلْطَانِيَهْ "(٥).. وتعيبه !! ؟

---

١) الكتاب : ٢٧٩/٢ .

٢) شرح الأشمونى : ٧٥٨/٣ ومابعدها .

٣) انظر ديوان ابن قيس الرقيات : ص ٩٨ .

٤)،(٥) الحاقة : ١٩،٢٠، ٢٥، ٢٦، ٢٨، ٢٩ .

فانكسر أبو عمرو انكسارا شديدا(١).

ويؤيد صحة هذه الهاء فى مثل هذه الكلمات جوازا - أيضا، قول أبى هفان: إن عبد الملك بن مروان أنشد هذا الشعر، فقال لعبد الله ابن قيس: أحسنت يا ابن قيس، لولا أنك خنثت قوافيه!

فقال: يا أمير المؤمنين، ما عدوت قول الله ـ سبحانه: "مَا أَغْنَى عَنِّى مَالِيَهْ "(٢).

فقال عبد الملك: أنت فى هذا أشعر منك فى شعرك (٣)"

وتفيد هاتان القصتان فى معرفة مدى أصالة استعمال " هاء السكت " بأحكامها الخاصة فى المواضع السابقة.

وقراءة يعقوب الحضرمى بإلحاق " هاء السكت " فى المواضع السابقة لم تخرج عما تقرره النحويون حول أحكام ومواضع هذه الهاء فى الكلام الفصيح، بل إن قراءة يعقوب تعد دليلا على جواز إلحاق هذه الهاء فى مواضعها السابقة، ونظائرها.

وقراءة يعقوب الحضرمى بإلحاق هاء السكت فى أغلب المواضع فيها إشارة إلى صحة التخلص من التقاء الساكنين بجلب هاء السكت، وذلك فى مواضع قراءة يعقوب، ويقاس نظيرها عليها.

ب - الوقف بإثبات الياء - ياءات الزوائد :

وهى الياءات التى تقع فى آخر الكلمة اسما، أو فعلا أو حرفا، ويكون الخلاف فيها بين القراء على الوقف عليها بإثباتها، أو الوقف عليها بعدم إثباتها وكذلك فى حالة الوصل(٤)، وأمثلة هذه الكلمات

١) مجالس العلماء للزجاجى : ص١٨٨، ١٨٩ .
٢) الحاقة : ٢٨، وكذلك آية رقم ٢٩ :" هلك عنى سلطانيه" .
٣) مجالس العلماء للزجاجى، ص١٨٨، ١٨٩ .
٤) وواضح أن هذه الياء قد تكون زائدة عن الكلمة وقد تكون أصلا من أصول الكلمة مثل : الداعى ويسرى، نبغى ... وكما سيأتى فإن يعقوب الحضرمى يقف بحذف الياء من الاسم المنون المنقوص، والفعل المعتل المجزوم .

فى القرآن كثيرة جدا ومن نماذجها فى الأسماء : الداع (١)، التلاق (٢)، التناد (٣)، وكذلك الأسماء بعد النداء مثل : ياعباد (٤).. وفى الأفعال : فارهبون (٥).. وفاتقون (٦) ولاتكفرون (٧)، دعان (٨).. وليس ليعقوب فى الحروف المنتهية بياءات زوائد (٩) قراءة **مخالفة** للجمهور.

وهذه النماذج السابقة يمكن حمل غيرها عليها مما لم نذكره اختصارا، وكراهية التكرار، ذلك لأن ابن الجزرى قد أحصى الكلمات المنتهية " بياء زائدة " فوصلت عنده إلى مائة واثنتين وعشرين كلمة منتهية بياء يمكن حذفها وإثباتها بنص الرواية الصحيحة، وقد تفرد يعقوب الحضرمى بإثبات الياء - وقفا ووصلا - فى هذه الكلمات فى تسع وسبعين كلمة، وشاركه غيره فى بقيتها (١٠) فكأنه قرأ بإثبات مثل هذه الياء ، وقفا ووصلا فى عدد ابن الجزرى كله ، وهذا يدعو إلى القول بأن أصل يعقوب هو إثبات الياء - وقفا ووصلا - فى هذه الكلمات .

أما الاسم المنادى المنتهى بياء زائدة فإن يعقوب الحضرمى وافق كل القراء فى القراءة بحذف ماوردت منه الياء محذوفة رسما، لكن رويا اختص بموضوع واحد فلم يحذف منه الياء ، برغم أنه منادى ، وهو قوله ـ سبحانه ـ: «يَاعِبَادِ فَاتَّقُونِ» (١١).

---

١) البقرة ١٨٦ .
٢) غافر : ١٥،٥، ٣٢، ٣٨ .
٣) غافر : ٣٢، ٣٨ .
٤) الزمر : ١٠ ، والنشر : ٣٦٤/٢
٥) البقرة : ٤٠
٦) البقرة : ٤١
٧) البقرة : ١٥٢
٨) البقرة : ١٨٦
٩) من خصائص "ياءات الزوائد" أن الخلاف فيها بين القراء يكون حول إثباتها فى الكلمة أو حذفها، أما "ياءات الإضافة" فالخلاف فيها حول فتحها وإسكانها .
١٠) النشر : ١٧٩/٢ ، والكامل للهذلى "كتاب الياءات" ص ٢٨٠ .
١١) الزمر : ١٠، والنشر : ٣٦٤/٢ .

وإثبات الياء فى آخر الاسم المنادى ،وعدم إثباتها وردت به اللغة الفصحى (١)، إلا أن إثباتها فى الكلمات التى لم تثبت فيها فى المصحف يعد مخالفا للرسم العثمانى ، وقد تكرر فى هذا المبحث أن مخالفة الرسم غير الصريحة ليست من الأشياء المنكرة لدى المحققين ، خاصة إذا صحت بها الرواية ، وأيدها واقع اللغة ...

وبرغم أن إثبات الياء فيه شبهة مخالفة الرسم ، إلا أن سيبويه يؤكد أن إثباتها هو الأصل ، بل هو أقيس الكلامين ، يقول سيبويه عند تعرضه لثبات الياء ، وعدم ثباتها فى قوله -سبحانه-: " وَالَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٢) وقوله -تعالى-: " ذَٰلِكَ مَاكُنَّا نَبْغِ " (٣)... يقول سيبويه : وإثبات الياءآت والواوات أقيس الكلامين ، وهذا جائز عربى كثير.... (٤)".

وفى كلام الأخفش أيضا تأييد لإثبات الياء فى مثل هذه الكلمات، لأن هذا هو الأصل ، غير أن الذى يدفعه إلى تأييد ماوردت ياؤه محذوفة هو الرسم العثمانى،ولولا هذا - كما يفهم من كلامه - لما أيده ، فهو يقول معلقا على قوله -تعالى-: وَإِيَّاىَ فَاتَّقُونِ .. (٥). يقول : وقد حذف قوم الياء - من فاتقون - فى السكوت والوصل وجعلوه على تلك اللغة القليلة، وهى قراءة العامة وبها نقرأ ، لأن الكتاب عليها ،وقد سكت قوم بالياء ، ووصلوا بالياء ، وذلك خلاف الكتاب ، لأن الكتاب ليست فيه ياء ، وهى اللغة الجيدة ...(٦).

ويعلق النحاس على قوله -سبحانه-: " ثُمَّ كِيدُونِ "(٧).. فيقول : والأصل كيدونى بالياء "(٨).

---

١) وعند الأخفش حذفها فى النداء جائز ، وحذفها فى كل شئ قليل قبيح، انظر الاخفش ، ٧٠/١ . - على رأى

٢) الفجر : رقم٤، والنشر : ٤٠٠/٢ .

٣) الكهف رقم٦٤ ، والنشر : ٣١٦/٢

٤) الكتاب لسيبويه : ٢٨٩/٢ .

٥) البقرة رقم ٤١ .

٦) معانى الأخفش : ٧١/١ .

٧) الأعراف رقم : ١٩٥ .

٨) إعراب القرآن للنحاس : ٦٥٨/١ .

إلا أن الطبرسي - وهو من أكابر علماء الإمامية في القرن السادس - يرى أن حذف الياء هو المختار ، لأنه رأس آية ، ورؤوس الآي لاتثبت فيها الياء ، لأنها فواصل ، ينوى فيها الوقف ، كما يفعل ذلك في القوافي "[١].

وكلام الطبرسي هذا لايعني إلا محاولة الاحتجاج لما ورد في المصحف محذوفا منه الياء بقراءة الجمهور ، ولأن هذا ماعليه الرسم ، غير أن اللغة الفصحى لايقف الرسم العثماني أمامها وأمام واقع نطقها وشيوع هذا النطق على ألسنة العرب ، خاصة إذا كانت اللغة متطورة بطبيعتها ولذلك فإن الرسم العثماني يعد - بحق - تسجيلا صادقا لما كان عليه حال الكتابة في عصره[٢] ، ولما تحتمله اللغة في عصره - أي : العصر الذي كتب فيه المصحف ، وعليه فيجب ألا يحكم على كل ماخالف الرسم بغير الرضى ، خاصة إذا وردت به الرواية الصحيحة ، وأيده واقع اللغة بما ورد فيها مخالفا للرسم ، ولذلك فليس خطأ أن يسمع قول من قال بأن إثبات هذه الياء وقفا - خاصة - هو الأصل ، ووصلا فرع عليه ، وكلاهما مقبول جيد[٣]..

أما الياء التي في الأفعال ، فإن ليعقوب قراءة لم يثبت فيها الياء وصلا ، وأثبتها وقفا ، وقد وردت هذه القراءة في قوله - سبحانه - : " وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا "[٤].

قال ابن الجزري : قرأ يعقوب بكسر التاء في " تؤت " وصلا وهو على أصله في الوقف على الياء كما نص عليه غير واحد ، وأشرنا إليه في باب الوقف على المرسوم[٥].

---

١) مجمع البيان : ٢٠٤/١ .
٢) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث - د. عبد الصبور شاهين دار القلم - ص ٢٥٨ - ٢٥٩ .
٣) إعراب القرآن للنحاس : ٦٥٨/١ .
٤) البقرة رقم ٩٣ .
٥) النشر : ٢٣٥/٢ ، وانظر الكامل للهذلي "كتاب الياءات" ص ٢٨٠ .

إلا أن هذه القراءة جعلت العكبرى يعتقد بأن " من " فى قراءة يعقوب مازالت شرطية ، ومن فى موضع نصب " بيوءت " و"يوءت" مجزوم بها ، فقد عمل فيما عمل فيه ، والفاعل ضمير اسم الله-سبحانه- "(١).

والحق ، أنه ليس الأمر كما اعتقد العكبرى ، لأن قراءة يعقوب وردت متناسقة فى هذا الباب خاصة " باب الجزم " إذ إن يعقوب رغم أن قراءته الأصل فيها عدم حذف مثل هذه الياء إلا أنه لايخالف اللغة ، لذا فإنه حذف الياء من الفعل المجزوم ، ووقف عليه بالحذف - أى بدون ذكر ياء كما فى قوله-سبحانه-: "وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ "(٢)ونحوه ، وهذا يوءيده قول ابن الجزرى : إن " من " فى قراءة يعقوب :"وَمَنْ تُوءْتِ الْحِكْمَةَ "... ليست شرطية ، بل موصولة ، أى : والذى يوءتيه الله الحكمة ، ولو كانت شرطية لوقف بالحذف كما يقف على " وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ" ونحوه (٣).

ويوءيد هذا أيضا أن قراءة يعقوب لم تخرج على واقع اللغة - بل جاءت على الأصل فى هذا الباب - أن الأفعال التى وردت فى الرسم العثمانى ظاهرها الجزم بدون جازم (٤)قد قرأها يعقوب بإثبات الياء ليوءيد أن هذه الأفعال ليست مجزومة بجازم ولا شئ مقدر قبلها ، وإنما حذفت الياء فيها للفاصلة أو تخفيفا(٥).

---

١) العكبرى : ١١٥/١، ومن الغريب أن يوافق الهذلى العكبرى فى هذا ، لأن الهذلى فى كامله ،ص ٢٨٤ ، ذكر أن الياء فى"يوءت"محذوفة للشرط ، وهذا يعنى أن " من " فى الآية شرطية ، والحق أنها كما رأى ابن الجزرى موصولة .

٢) غافر : رقم ٩ .

٣) النشر : ٢٣٥/٢ ، الكامل ص ٢٨٤ .

٤) مثل : والليل إذا يسر ، وقوله-سبحانه-: ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ" .

٥) أو على لغة هذيل : لأنها كثيرا ماتحذف الياء ، وتجتزأ عنها بالكسرة نحو قولهم : لا أدر ... هكذا حكاه الخليل وسيبويه ، راجع الكشاف : ٣٣٥/٢

٣.ضم هاء الضمير : المثنى والجمع فى قراءة يعقوب الحضرمى :

مثل : أ - عليهما ، إليهما ، فيهما ، لهما .

ب - عليهم ، وإليهم ، ولديهم

ويكون الحديث حول هاء الضمير فيما يلى :

أولا : قراءة يعقوب الحضرمى عند ابن الجزرى .

ثانيا : حالات هذه الهاء مع الميم عند يعقوب .

ثالثا : تفسير القدماء لهذه الظاهرة .

رابعا : تفسير المحدثين .

أولا : أما عن قراءة يعقوب الحضرمى لهذه الهاء - عند ابن الجزرى - ومن وافقه فإنه يمكن تلخيصها بدءا فيما يلى :

١ - ورد عن يعقوب ضم الهاء بعد الياء الساكنة [١].

٢ - ورد عن يعقوب ضم الهاء بعد زوال هذه الياء [٢].

٣ - ورد عنه كسر الهاء بعد زوال هذه الياء أيضا [٣].

٤ - أما عن اتباع حركة الهاء :

أ - فإن يعقوب يضم الميم حيث يضم الهاء .

ب - يكسر الميم حيث يكسر الهاء [٤].

ومن أمثلة قراءة يعقوب لما وردت الهاء فيه بعد ياء ساكنة قوله -سبحانه- : عليهم [٥]، وإليهم [٦]، ولديهم [٧]، وعليهما [٨]، وعليهن ومنهن ، وأبيهم ، وترميهم [٩]... وشبه ذلك ، فقد قرأها يعقوب بضم الهاء ويحمل غيرها عليها .

---

١) النشر : ٢٧٤/١، والكامل للهذلى : ٣٠٣ .
٢) النشر : ٢٧٤/١، والكامل للهذلى : ٣٠٣،٣٠٤ .
٣) النشر : فى رواية رويس ٢٧٥/١ .
٤) النشر : ٢٧٤/١، الكامل للهذلى : ٣٠٤، ٣٠٥
٥) البقرة : ٤٤ .
٦) يس : ١٢ .
٧) الزخرف : ٨٠ .
٨) المائدة : ٢٣ .
٩) الفيل : ٤ .

ومن أمثلة قراءته فيما ورد عنه فيه ضم الهاء بعد زوال الياء فهى فى مثل : يخزهم(١)، فاستفتهم(٢)، وإن يأتهم ، منهن ، وماشابههما وقد روى هذا ابن الجزرى والهذلى ، أما عن كسر يعقوب للهاء بعد زوال الياء لعلة جزم أو بناء فقد رواها ابن الجزرى عن راو واحد من رواة يعقوب إلا وهو رويس قال ابن الجزرى : ... إلا رويسا فإنه روى عنه كسر الهاء لقوله تعالى: "وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ "(٣)

ثانيا : أما عن إتباع حركة الهاء مع الميم بعدها ، فإن ابن الجزرى روى عن يعقوب أنه يضم الميم حيث يضم الهاء ، ويكسر الميم حيث يكسر الهاء ... فإذا وقف يعقوب على الميم وقف بالسكون وواضح من خلال نقلنا لأداء يعقوب لحركة هذه " الهاء " أعنى " هاء الضمير " المفرد والمثنى والجمع " أن يعقوب الحضرمى قد اختار فى أدائه ضم مثل هذه الهاء - غالبا - وليس هناك اعتراض على أداء مثل هذه الهاء بالضم أو بالكسر إذا وافق هذا الأداء ماتقرر لدى قدامى اللغويين ، لكن هذا الأداء يصبح محلا للنظر إذا خالف ماتعارف عليه اللغويون القدماء من أن نطق هاء الضمير مضمومة بعد كسر أو ياء فيه مخالفة صوتية ، لأن الكسر ، أو الياء يحتاجان إلى وجود مجانسة بينهما وبين الصوت التالى لهما ، فإذا سبقت هاء الضمير بكسر أو بياء فإنه يحسن أن تكون حركة هذه الهاء مجانسة لحركة ماقبلها وهذا خلاف ماقرأ به يعقوب .

ثالثا : وبرغم أن اللغة قد نقلت إلينا عملية النطق مع مجانسة مابعد الكسرة والياء لهما ، ونقلت لنا أيضا عدم المجانسة ، فإنه لابد من تسجيل رأى الأقدمين فى تفسير هذه المسألة .

---

١) التوبة : ١٤ .
٢) الصافات : ١١ .
٣) سورة الأنفال : آية رقم ١٦، والنشر : ٢٧٤/١ .

يقول سيبويه : ... باب ماتكسر فيه الهاء التى هى علامة إضمار .. اعلم أن أصلها الضم "(١)

ومعنى كلام هذا العلامة يشير إلى أن يعقوب الحضرمى أدى هذا الحرف بالضم ، لأن الأصل فى نطقه الضم ، لا الكسر ، ولا الفتح ، وإنما ينطق حرف الهاء هذا بالضم فى كل الحالات ، لكنه ربما يتأثر بحرف قبله ، فيجانسه ، والدليل على أن حرف الهاء الأصل فيه الضم أن من يريد أن يبتدىء بها الحديث ، أو الكلام لابد أن ينطقها مضمومة ، فيقول " هُم " ، ولا يقول : " هِم " ، ولا هَم .

أيضا من أراد أن يجعل هذه الهاء فى موضع النصب فهو أيضا لاينطقها مفتوحة ، بل لابد أن ينطقها أيضا مضمومة فهو يقول مثلا ، ضربهُم ، ولا يقول : ضربهِم ، لان هذا لم ينطق به واحد من العرب .

كذلك عندما تكون هذه الهاء فى موضع " الجر " فإن الأصل أن تتبع أختيها ، فى حالة رفعها ، ونصبها فتكون فى حالة الجر مثلهما ، وهذا ماقرأ به يعقوب ، فتكون مضمومة حتى فى حالة الجر ، كما فى "عليهم" وغيرها ، ويؤيد هذا الأمر ماذهب إليه الفراء من تأييد لكلام سيبويه ، فقد جمع الفراء كل دليل يؤيد هذه الفكرة السابقة .

قال الفراء عن ضم الهاء وكسرها : أصلها رفع فى نصبها ، وخفضها ، ورفعها ... "(٢).

ولايكتفى الفراء بهذا بل إنه يذكر لفظة أخرى عومت معاملة "الهاء " فى ثنائية نطقها، وهى لفظة الهمزة من لفظة " أم " فيذكر أن أصل نطقها " الضم " لكن يجوز لك كسرها فى مواضع ، ولايجوز لك كسرها فى مواضع أخرى ، لكن يبقى الضم فيها هو الأصل فى نطق همزتها، يقول الفراء : كلمة " أمه" منهم من يضم همزتها، ومنهم من يكسرها، كما

---

١) الكتاب : ٢٩٣/٢ .

٢) معانى القرآن للفراء : ٥/١ .

فى قوله تعالى: ﴿فَلِإِمِّهِ السُّدُسُ﴾"(١) ﴿وَحَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي إِمِّهَا ...﴾" فمن رفع قال هو الأصل فى " الأم " والأمهات ، ومن كسر قال هى كثيرة المجرى فى الكلام ، فاستثقل ضمة قبلها ياء ساكنة ، أو كسرة (٢)، ويستمر الفراء بعد ذلك فى بقية أحكام هذه الهمزة .. ثم يختتم حديثه بقوله : فى كل موضع حسن فيه كسر الهمزة جاز فيه كسر الألف(٣).

أما المبرد فعنده أيضا تجويز هذه الثنائية فى نطق هذا الصوت أعنى صوت الهاء ضمير مفرد ، وتثنية وجمع للغائب بالكسر ، والضم ، يقول : إلا أنه يجوز فى الهاء أن تكسر إذا كان قبلها كسرة أو ياء(٤).

وهذا لاينفى أن أصل نطق هذه الهاء هو الضم ، فالمبرد أجاز لكنه لم يوجب ، وهذا يعنى أنه يجوز أيضا نطق هذه الهاء بالضم حتى ولو سبقتها ياء ، أو كسرة ، ويستمر المبرد فى مواضع من مقتضبه (٥) فى إقرار ماقرره سيبويه من أن أصل نطق هذه الهاء هو الضم ، فإن وليت كسرة أو ياء كان الأحسن أن يقال تبدل من ضمتها كسرة ، لاستثقالهم الضمة بعد الياء والكسرة ، ويصف المبرد رتبة هذا النطق بالضم من حيث الفصاحة أو الرداءة فيقول : وإن جئت بها على الأصل - يعنى الضم - فعربى جيد "(٦).

ويكرر العكبرى كلام الفراء الذى سبق ذكره فى تعليله لضم وكسر الهاء فيقول : ... ومن ضم الهاء قال : إن الياء فى - عليه - حقها

---

١) النساء : ١١ .
٢) معانى القرآن للفراء : ٦/١ .
٣) السابق : الجزء والصفحة .
٤) المقتضب للمبرد : ٢٦٤/١، وانظر دراسات لأسلوب القرآن : القسم الثالث ، ج ١٠٤/١ .
٥) ج ٢٦٩/١ .
٦) المقتضب : ٢٦٤/١ .

أن تكون ألفا كما تثبت الألف مع المظهر ، وليست الياء أصل الأصل ، فكما أن الهاء تضم بعد الألف فكذلك تضم بعد الياء المبدلة منها(١).

ويرى البنا الدمياطى تعليلا آخر لإيثار بعض الناس ضم الهاء، فيقول " تضم الهاء ، لأنها ضعيفة فتأخذ أقوى الحركات ...(٢).

على كل حال ، فإن كل ما مضى يدل بحق على أصالة نطق صوت الهاء مضموما سواء سبق بياء ، أم يكسر ، فينبغى عدم رفض مثل هذا الأداء، وإن وجد له نظير أو أثر فى لغتنا حتى الدارجة أو العامية فهذا أكبر دليل على أهمية دراسة الظواهر القرآنية ، وعدم الاستهانة بأبسطها لأن كل ظاهرة قرآنية ، وإن كان الوحى قد جاء بها على محمد - ص - إلا أن لغات كثير من القبائل تنطق بها والدليل على هذا أنه نقل عن قبيلة قيس ، وتميم ، وبنى سعد ، وناس من بكر بن وائل ، وغيرها كثير - أنها كانت تميل إلى نطق الهاء مكسورة (٣).

إلا أن أهل الحجاز يؤثرون ضم هذه الهاء لكن مع إشباع ميمها حركة هذه الهاء (٤).

يقول سيبويه : وأهل الحجاز يقولون : مررت بهو ، ولديهو مال .
لكن يعقوب لايؤثر الإشباع بل يميل إلى ضم الهاء مع الميم أو كسرها مع الميم ، وإذا وقف ، وقف بالسكون على الميم (٥).

رابعا : ولايختلف المحدثون مع القدماء فيما تقرر عن نطق حرف الهاء بالضم اللهم إلا فى اختيار مصطلحات جديدة تناسب رأى علم اللغة الحديث فى تفسير مثل هذه الظاهرة .

---

١) إملاء ما من به الرحمن للعكبرى : ٦/١ .
٢) لقد تجوزنا فى نسبة هذا الرأى للدمياطى البنا ، لأن هذا التعليل مأخوذ شقه الأول من كلام المبرد فى المقتضب ج ١ /٢٦٩، وشقه الثانى من كلام ابن جنى فى الخصائص : ٣٤١/٢ .
٣) دراسات لأسلوب القرآن الكريم : القسم الثالث ج ١ ص ١١٦ .
٤) حالة الإفراد ، ولكن يضمون فقط حالة التثنية والجمع، وهو ما وافقه اختيار يعقوب الحضرمى ، انظر : الكافية : ١٢/٢ .
٥) الكتاب لسيبويه : ٢٩٤/٢ .

يقول د. رمضان عبد التواب تحت عنوان :

" التأثر المقبل الكلى فى حالة الانفصال ، يقول : تتأثر حركة الضم فى ضمير النصب ، والجر الغائب المفرد ، والمثنى والجمع المذكر ، هم ، والجمع المؤنث " هيه " والمثنى ، هما بما قبلها من كسرة طويلة أو قصيرة ، أو ياء ، فتقلب الضمة كسرة طويلة ، أوقصيرة أو ياء(١)..... ثم يستمر فى سوق أمثلة تؤيد هذه الظاهرة ، وهى الأُمثلة التى وجدت الآيات القرآنية التى سبق أن أشير إليها أو إلى نظائرها ، ومن هذه الأُمثلة التى ساقها : برجلِهُ برجلِهِ ، فيهُ ، فيهِ ، ضربتِهُ ، ضربتِهِ ، قاضيهُم ، قاضيهِم بهُنّ ، بهِنّ بهما ، بهما(٢).

ويبدو أن مصطلحات القدماء لتفسير مثل هذه الظاهرة ماتزال تمثل مكانها ، فإتباع الميم كسرة الهاء مطلقا ، يسميه العرب طرد الباب على وتيرة واحدة " أو ظاهرة الوهم ، وإن كان المصطلح الأخير لم يلق قبولا بخاصة فى حقل الدراسات القرآنية (٣).

وليس الأمر فى حاجة إلى إنشاء حكم مخالف لواقع اللغة ، لينسب إلى هذا البحث ، بل إن الحاجة ملحة فى إثبات مدى مكانة ، أو أصالة مثل هذه الظواهر الموجودة فى لغتنا لتجد مكانها ، وطريقها إلى النور ساعة الحاجة إليها ، بعيدا عن الجدال العقيم أو النقاش المريب .

٤ - كسر " تاء " المضارعة :

ورد هذا فى قراءة يعقوب الحضرمى لقوله تعالى : " إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَالَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ، وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ "(٤).

---

١) التطور اللغوى، مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجى بالقاهرة طبعة أولى سنة ١٤٠٤ هـ ، ص ٢٥ .
٢) التطور اللغوى ص ٢٥ .
٣) فصول فى فقه اللغه : ١٥٢ - ١٥٣، نقلا عن التطور اللغوى ص ٢٥ .
٤) النور : رقم ١٥ .

إذ ورد أن يعقوب الحضرمى قرأ بكسر " تاء " تَلَقَّوْنَهُ " لتصبح بقراءة يعقوب " تِيلَقَوْنَهُ " مع كسر تاء المضارعة وزيادة " ياء "بعدها(١).

وللخروج بكلام مفيد حول أداء يعقوب لهذا الفعل وكيفية وصوله إلى "تِيلَقُونَه" بعد " تلقونه " ينبغى التعرض لما يلى :

أ - أصل هذا الفعل .

ب - هل يمكن أن يدخله الإعلال ؟

جـ - مدى قبول كسر حرف المضارعة عند العرب !!

أما عن أصل " تَلَقَّوْنَهُ " فقد ورد فى لسان العرب مايلى :" وَلَقَ " قال ابن منظور : وَلَقَه ، يَلِقُه وَلْقاً ... والوَلْق أيضا : إسراعُك بالشىء فى أثر الشئ ، كعَدْوٍ فى أثر عَدْوٍ .. ، وكلام فى أثر كلام ... والوَلْقُ : الاستمرارُ فى السَّيْرِ وفى الكَذِب ...

وفى حديث على كرم الله وجهه ، قال لرجل : كَذَبْتَ وَوَلَقْتَ " ووَلَقَ الكلامَ أى : دَبَّره ،(٢)..

ويفهم مما جاء فى لسان العرب ، أن الفعل : تِيلَقُونه " فى قراءة يعقوب الحضرمى أصله : وَلَقَ ، على وزان : فَعَلَ مفتوح العين فى الماضى ، ومضارعه : يَلِقُ ، مكسور العين فى المضارع ، إلا أن أباحيان لايرى هذا ،ويقول ... وقرأ يعقوب الحضرمى فى رواية المازنى : تِيلَقُونَه " بتاء مكسورة ، بعدها " ياء " ولام مفتوحة ، كأنه مضارع " وَلِقَ " بكسر اللام ، وعلى هذا فإن أبا حيان يجعل الفعل " وَلِقَ " شبيها بالفعل " وَجِل " لكن " وَجِل " مضارعهُ " يَجَل " أو " يَوْجَل " كما فى القاموس المحيط (٣)، ومن أجل إزالة التناقض الذى بدا بين كلام أبى حيان ، وبين كتب اللغة ، فلابد من ذكر أن الفعل : وَلَق فيه لغتان هما :

---

١) مختصر البديع لابن خالوية ص١٠٠ ، والبحر المحيط : ٤٣٨/٦ .
٢) لسان العرب ، طبعة دار المعارف ، مادة : ولق .
٣) البحر المحيط : ٤٣٨/٦، القاموس المحيط : ٢٩٠/٣ .

١ - وَلَق ، يَلِق .
٢ - وَلِق ، يَوْلَق ، أو يَلَق (١).

وقبل الدخول فى حديث كسر " تاء " المضارعة من الفعل "تِيلْقُونَه" يجدر التعرض إلى ماحدث فى هذا الفعل من إعلال إلى أن وصل إلى "تِيلَقَوْنه" من الفعل " وَلَق " .

جاء فى النحو الوافى مايلى : ... الإعلال بالحذف يكون قياسيا مطردا فى المسائل الآتية ، وأما فى غيرها فمقصور على السماع: المسألة الثانية : الواو التى هى " فاء" فعل ثلاثى مفتوح العين فى الماضى ، مكسورها فى المضارع مثل : وعد ... فيجب حذف هذه الواو فى المضارع (٢).

وبناء على هذه الأحكام السابقة ، فإن كل فعل يشبه "وَعَد" إذا جاء منه المضارع ، فإن فاءه تحذف فيصبح " يَعِد" أو " تَعِد " أو " نَعِد" ...إلخ فإذا طبقنا هذه الأحكام على الفعل " وَلَق " ، بصيغتيه اللتين وردتا عن العرب نلاحظ :

أ - أن صيغة " وَلَق " ، يَلِق ، هى الصيغة التى دخلها هذا الإعلال فحذفت فاؤها ، لانطباق هذه الأحكام عليها ، لذا كانت قياسية ...

ب - أما الصيغة الثانية ، فإن مخالفتها لهذه الأحكام لاتجعل الإعلال فيها قياسيا بل يكون فيها سماعيا ، مثلها فى ذلك مثل الفعل "وَجِل " فيجوز فيها - سماعا (٣)- يَوْجَل ، ويَجَل فيمكن أن نقول فيها "يَوْلَق " ، و "يَلَق " .

لكن الصرفيين يقررون أمراً آخر ، أو شرطا آخر إلى الشروط الواجب توافرها فى الفعل الذى يدخله إعلال بحذف فائه - هذا الأمر هو : أنه يجب أن يكون مثل هذا الفعل مفتوحا حرف مضارعه، فإذا انكسر حرف

---

١) القاموس المحيط : ٦٣/٤، والاقتضاب : ص ٢٨١ .
٢) ج ٨٠٠/٤ مسألة ١٨٤ .
٣) النحو الوافى : ٨٠٠/٤ م ١٨٤ .

مضارعه كان هذا الإعلال جائزا، وهذا يدخلنا فى النقطة الأساسية الآتيـة :

- كسر حرف المضارعة من الفعل " تِلَقْوَنه " :

مما تقدم ، يظهر أن الفعل " تِلَقْوَنه " قد كسر حرف مضارعه " التاء" ولما كسر حرف مضارعه ، جاز فيه الإعلال وعدمه ، ولأن أصله " وَلَقَ " "يَلِـق" أو " يَوْلَق " فقد صح فيها " تِيْلَق " كما سيأتى ..

أما عن كسر حرف المضارعة " التاء" وكذلك بقية حروف المضارعــة الأخرى وهى " النون " و"الهمزة" ، " الياء" . فإن علماء العربية قـد نقلوا إلينا جواز كسر حرف المضارعة من الفعل المضارع ، فمثلا " يكتب ... يجوز فيها " يِكتب " ، و" نَكْتُب " يجوز فيها " نِكْتب " وأَكْتُب ، يجـوز فيها إِكْتُب ... وهكذا ..

يقول سيبويه : باب ماتكسر فيه أوائل الأفعال المضارعة ، وذلـك فى لغة جميع العرب إلا أهل الحجاز .... (١)"

ومعنى هذا أن جميع قبائل العرب تجيز كسر حرف المضارعة إلا أهـل الحجاز ، فهم لايجيزونـه .

وليس بين عامة البصريين ، أو الكوفيين أو غيرهم مخالف لما قـرره سيبويه ، يؤيد هذا موافقة ابن جنى(٢)، وابن الحاجب(٣)وكذلك شـراح مؤلفاته (٤)..

لكن بين هؤلاء جميعا اختلاف وتفصيل فى أى الحروف أكثر دورانـا فى الكسر ، وأيها أقل ، وأى الأفعال الأفصح فى حرف مضارعة الكسـر ، وأيها الأفصح فيه الفتح ...وأيها يدخله الكسر شذوذا ... "(٥).

١) الكتاب لسيبويه : ٢٥٦/٢ .
٢) المنصف : ٣٢١/١ .
٣) الشافية : ١٤٢،١٤١/١، والكافية : ٢٢٨/٢ .
٤) خزانة الأدب : ٣١١/٢ .
٥) شرح الشافية : ١٤١/١ - ١٤٢ .

وقد روى عن كثير من قبائل العرب أنها كانت تميل إلى كسر حرف المضارعة ، أمثال : قيس ، وتميم ، وأسد ، وربيعة ، وهذيل ... وغيرها ، لكن على تفصيل فى بعض الأفعال دون بعض (١) .

على أنه ينبغى ذكر أن حرف " التاء " هو أكثر حروف المضارعة ، استعمالا فى الكسر (٢) ولذلك فإن قراءة يعقوب الحضرمى جاءت موافقة للغة الكثيرة الواردة عن العرب ، وإليك كيفية وصول " تَلَقَّوْنَه " بعد كسر حرف مضارعه إلى " تِيْلَقُونَه " :

أ ـ ماضيه هو : وَلَقَ (٣) .

ب ـ مضارعه " بالتاء " : تَوْلَقَ (٤)

جـ ـ كسر حرف مضارعه فصار : تِوْلَق .

د ـ استثقل ضم بعد كسر فقلبت الواو " ياء " لمناسبة الكسرة فصارت " تِيْلَقَ .

هـ ـ أضيفت لها الهاء بعد إسناد واو الجماعة لها فصارت "تِيلَقُونَه" (٥)

وهذه هى الصيغة التى قرأها يعقوب الحضرمى وهى صيغة لم تخرج عما قرره الصرفيون أو النحويون أو غيرهم ، وليس من المبالغة القول بأن قراءة كسر حرف المضارعة ، أى حرف ، بجانب مالها من تأييد من اللغة الفصحى فلها أيضا تأييد من لغتنا الدارجة ، والعامية فكثير من اللهجات المحلية

---

١) البحر المحيط : ٢٣/١، ٢٥، ٢٢/٢٢، ٢٦٩/٥ .

٢) دراسات لأسلوب القرآن : القسم الثانى جـ ٦٦٥/١ .

٣) ولق : مكسور العين فى الماضى ، مفتوحها فى المضارع مثل "وجل" .

٤) وقد سبق ذكر أن الصرفيين قد اشترطوا لدخول الإعلال بالحذف فى مثل هذا الفعل أن يكون مفتوحا حرف مضارعه ، فإذا كسر أصبح الإعلال فيه جائزا ، وقد حدث فى الصيغة التى معنا أن كسر حرف مضارعها فجاز إعلالها وجاز عدم الإعلال هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن هذه الصيغة المشابهة " لوجل " يدخلها الإعلال بالحذف جوازا وسماعا ..

٥) هل هذا الفعل لازم أو متعد ؟ انظر اللازم والمتعدى من هذه الرسالة ص وراجع لسان العرب : ٨/٦ ٤٩ طبعة دار المعارف مادة " ولق " .

يستعمل فيها أصحابها كسر حرف المضارعة وهذا يؤيد القول بأن اللهجات العامية لم تبتعد كثيرا عن اللغة الفصحى الأم ، وهذه ميزة فى لغتنا العربية لم تتوفر فى بقية اللغات الأخرى .

٥- جمع التكسير وجمع المؤنث السالم فى قراءة يعقوب :

- جمع التكسير فى قراءة يعقوب :

من المعروف عند الصرفيين أن جموع التكسير لها أوزان كثيرة ، منها جموع خاصة بالقلة ، وجموع خاصة بالكثرة ، ومن هذين النوعين الوزن المطرد فى بابه ، ومنها الكثير المسموع ، كذلك مفردات هذه الجموع منها مايجمع على صيغة معينة لتوفر شروط جمعه عليها فيكون مطردا مقيسا ، ومنها ماهو مسموع جمع مفرده على هذه الصيغة المعينة، ذلك لعدم تحقق الشروط فيه (١)...

كذلك ورد عن الصرفيين والنحويين أنه ليس عيبا ، أو ضعفا فى قوة المقيس ورود مخالف له ، وإنما يدل هذا على أن باب جمع التكسير يحتوى على صيغ شائعة مقيسة ، وصيغ أخرى ليست شائعة ، ولذا فهى ليست مقيسة (٢).

أيضا قد يعبر بجمع القلة عما يعبر عنه بجمع الكثرة ،وكذلك العكس مجازاً ، وغير مجاز ، إلا مادعت الضرورة إلى تطبيق قاعدة كل منهما (٣)، وهناك كثير من قواعد جمع التكسير بنوعيه لكننى اقتصرت - فقط هنا - على مايمكن أن يفيدنا فى النظر إلى صيغ جمع التكسير الواردة فى قراءة يعقوب الحضرمى ، والتى رتبتها على حروف المعجم مع نقل ماأمكن نقله حول هذه الاوزان من آراء وتفسيرات للعلماء المختصين وذلك على النحو التالى :

---

١) النحو الوافى : ٥٢٧/٤ ، م١٧٢ ، وشرح التصريح : ٣٠٠/٢ .
٢) النحو الوافى : ٥٢٧/٤، ١٨١/٣ ومابعدها .
٣) السابق .

١ - جبل : على وزان : فعل " بضم الأول والثانى وتشديد الثالث ، جمع ، ومفرده على وزان " فعل " ورد هذا فى قراءة يعقوب لقوله سبحانه : " وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ، أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ "(١) إذ قرأ يعقوب : جبلا بضم الأول ، والثانى ، وتشديد اللام ، وذلك فى رواية روح "(٢)، وقد أورد ابن منظور : إن الكسائى نقل فى " جبل " المكسور الأول والثانى وتشديد الثالث ، جواز أوله ، وثانيه مع تشديد الثالث ، قال ابن منظور : والجِبْلة ، والجُبْلَة والجِبِلّ ، والجِبَل ، والجُبُل ، والجُبل ، والجِيل ، والجُبُلّ كل ذلك : الأمة من الخلق،والجماعة من الناس (٣)، وقد أنكر أبو هيثم (٤) ورود " جُبُلّ" بضم وتشديد (٤)، إلا أن مانقلناه عن الكسائى فيمانقله ابن منظور يرد على أبى الهيثم وغيره رفضهم ورود جُبُل " حتى ولو لم يكن مقيسا فى بابه .

٢ - فعول جمع " لفعل " إذا كان " فعل " معتل اللام مثل : حليهم ، جمع لحلى ، ورد هذا فى قوله سبحانه : " مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا "(٥) إذ قرأ يعقوب بإفراد : حُلِيِّهِم لتصبح " حَلْيِهِم " مفردة (٦)، وجمع " فَعْل " على "فُعُول " مطرد فى بابه ذلك إذا توفرت فى المفرد شروط منها : إذا كان هذا المفرد على وزن " فَعْل " مفتوح الفاء غير معتل العين (٧)، وهذه الشروط منطبقة على قراءة يعقوب ، قال النحاس : حَلْى جمعها "حُلِىّ " و"حِلِىّ" والأصل : حُلُوى ، ثم أدغمت الواو فى الياء فانكسرت اللام لمجاورتها الياء (٨)، وهذا معناه أن هذه الصيغة تعد مقيسة فى باب جمع الكثرة ....

---

١) يس : ٦٢ .
٢) النشر : ٣٥٥/٢ .
٣) لسان العرب : مادة جبل ، دار المعارف .
٤) لسان العرب : مادة جبل . والصواب : أبو الهيثم ، وهو أبو الهيثم الرازى ، ت/ ٢٧٦ هـ، انظر بغية الوعاة ٣٢٩/٢٠ .
٥) الأعراف : ١٤٨ .
٦) النشر : ٢٧٢/٢ .
٧) النحو الوافى : ٥٢٧/٤ م ١٧٢ ومابعدها .
٨) القرطبى : ٢٧٢٠/٤ .

٣ - " أَفْعَال " جمع " فَعْل " مثل : أَوْبَار جمع " وَبْر " ورد هـذا في قراءة يعقوب لقوله -سبحانه- : ... وأدبار السجود " قرأها يعقوب : وأدبار (١)... على وزن " أَفْعَال " وقد اختلف في توجيه قراءة يعقوب بناء على اختلاف العلماء - من لدن سيبويه ومن سار سيره إلى زمن متأخر - في القول بصحة جمع " فَعْل " مفتوح الفاء ، ساكن العين ، صحيحها على "أفعال " مثل : فَرْخ وأَفْرَاخ ، وحَبْر وأَحْبَار ... وغيرها ، لأن ماورد منها قليل لايكفي أن يكون بابا ، قال سيبويه : "باب تكسير الواحد للجمع ... وتحدث عن أوزان " فَعْل " مفتوح الفاء ساكن العين صحيحها بأنه يمكن جمعه على " فِعَال " وعلى " فُعُول " ، و"أَفْعُل " وأن جمعه على " أَفْعَال " ليس " بالباب " في كلام العرب ، وإن كان قد ورد منه بعض ألفاظ ، كأَفْرَاخ ، وأَجْدَاد ، وأَفْرَاد (٢)وقد رد صاحب " النحو الوافي " على سيبويه ، ومَنْ وافقه (٣)، وأثبت بتفصيل وإفاضة صحة وكثرة ورود جمع "فَعْل " على " أَفْعَال " وذلك حيث يقول : وقد جرى كثير من النحاة وراء سيبويه حتى عصرنا ، وكانوا - في هذه المسألة -(أي مسألة جمع "فَعْل" على "أَفْعَال") متسرعين "، (أي : في الحكم بعدم قياسته موافقة لسيبويه)(٤)، وأخذ في عرض الأدلة الواردة عن بعض القدماء الذين يوافقونه فيما رأى ، وكان مما أورده من أدلة :

---

١) الطور : ٤٩ وانظر : البحر المحيط : ١٥٣/٨ .

٢) الكتاب لسيبويه :
وكذلك كتاب " ليس في كلام العرب " ابن خالوية ص ٧٥ .
وكذلك :"ضحى الإسلام أحمد امين" : ٢٧٨/٢ .

٣) من الغريب أن ابن هشام نص على شذوذ "افعال" لـ "فعل" برغم أنه ذكر لها أكثر من خمسة "أوزان" وردت في القرآن والشعر ، فمن القرآن :"وأولات الأحمال" ومن الشعر : قول الحطيئة : ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ؟ وقول الأعشى ميمون بن قيس : وزندك أثبت أزنادها" ... انظر : أوضح المسالك ١٧٣/٣ ، طبعة الاستقامة .

٤) النحو الوافي : ٦٣٨/٤ م ١٧٢ ومابين القوسين من الباحث .

أن صاحبي التوضيح ، والتصريح ، برغم اعتراضهما على جمع " فَعْل " على " أَفْعَال " إذا صحت عينه ، إلا أنهما أوردا ، ومعهما الشيخ " يس " مايقارب عشرين صيغة (١)، إذن فهذا ليس بقليل !!

أنه ورد في " إرشاد الأريب لمعرفة الأديب " : أن أبا حيان التوحيدي أثبت للصاحب ابن عباد صحة ورود جمع " فَعْل " ساكن الوسط صحيحها على " أَفْعَال " ذلك لأن أبا حيان ذكر أنه يحفظ ثلاثين حرفا وردت على هذا الباب ، إذن فعند أبي حيان مايثبت صحة قراءة يعقوب الحضرمي والتي تؤيد صحة ورود أفعال جمعا لما مفرده " فَعْل " صحيح العين ساكنها(٢).

وعلى هذا فإن مجمع اللغة العربية بالقاهرة وافق على صحة القياس على ماورد من وزان " أفعال " جمعا للمفرد " فَعْل " مفتوح الفاء ساكن العين صحيحها ... ويدخل في ذلك مهموز الفاء ، ومعتلها ، والمضعف "(٣).

والبحث يضم صوته إلى صوت من يسمع لهم صوت ، ويرى أن قراءة يعقوب " أَدْبَار " ليست مصدرا ، وإنما هي صيغة اسمية "جمع" على أفعال" الذي مفرده " فُعْل " ، ورد هذا في " لسان العرب " وذلك حيث يقول صاحبه قال في التهذيب : وقرئ : وأَدْبَار السجود بفتح الهمزة جمع " دُبْر " وأَدْبَار السجود : هما الركعتان بعد المغرب ، روى ذلك عن علي كرم الله وجهه "(٤).

٤ - فَعَلَة جمع " فاعل " مثل : زَهَرَة جمع زَاهِر ، ورد هذا في قراءة يعقوب لقوله - سبحانه - : " زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا "(٥) فقد قرأ يعقوب

١) النحو الوافي : ٦٣٨/٤ ومابعدها وشرح التصريح : ٣٠٢/٢ .
٢) انظر : إرشاد الأريب : ٣٩٢/٥، تأليف ياقوت الرومي ، طبعة مرجليوث ، نقلا عن : النحو الوافي م ١٧٢ .
٣) مجلة المجمع اللغوي القاهري الصادرة في ربيع الأول سنة ١٣٩٠ هـ ومايو ١٩٧٠م : حـ ٢٢٣/٢٦ ، نقلا عن النحو الوافي : ٦٣٩/٤ .
٤) لسان العرب : مادة : دبر . دار المعارف .
٥) طه : ١٣١ .

"زَهَرَة" بفتح الزاى ، والهاء ، والراء "(١)، وقد قيل فى تخريج هذه الصيغة آراء كثيرة،منها أنها : جمع على وزان فَعَلَة لمامفرده فاعل ، قال ذلك الزمخشرى (٢)، ونقله عنه أبو حيان (٣)، وسياق الآية يقبلها جمعا وغير جمع ".

٥ - جمع " فِعَال " على " فُعُل " مثل : كِذَاب وجمعها " كُذُب " ورد هذا فى قوله سبحانه : ولاتقولوا لِمَا تَصِفُ أَلسِنَتُكم الكُذُب .. "(٤)فقد قرأ يعقوب : "الكُذُبُ" بضم الكاف والذال (٥)، ورفع الباء على أساس أنها صفة الألسنة ، قال أبو الفتح ابن جنى : ... وأما الكُذُب فجمع : كِذاب مثل : كِتَاب ، وكُتُب(٦)، وعلى هذا فهى صيغة لجمع الكثرة قياسية... ويصح كون " كُذُب " بضم الأول والثانى ، جمعا " لكَذُوب " مثل " صُبُر " جمع " صَبُور" قال هذا العكبرى ، ثم قال : وعلى هذا يجوز ان يكون واحد الألسنة،مذكرا أو مؤنثا ، وقد سمع فى اللسان الوجهان .. (٧)" .

وعلى هذا أيضا ، فإن هذا الجمع هو الآخر جمع كثرة قياسى...

- جمع المؤنث السالم فى قراءة يعقوب :

أو الجمع المنتهى " بألف وتاء " ، وجموع السلامة حقها تصدر جموع التكسير ، ولكن لأنه لم يرد ليعقوب إلا قراءتان فى " جمع المؤنث " فقد أخرتهما وألحقتها بمبحث جمع التكسير .

١) النشر : ٣٢٢/٢ .
٢) الكشاف : ٩٨/٣ .
٣) البحر المحيط : ٢٩١/٦ .
٤) النحل : ١١٦ .
٥) البحر المحيط : ٥٤٥/٥ .
٦) المحتسب : ١٢/٢ .
٧) العكبرى : ٨٢/٢ .

القراءة الأولى :

هى قراءة يعقوب لقوله-سبحانه- : " كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ "(١) إذ قراها : كأنه جِمَالَاتٌ " بفتح الجيم والميم ، وزيادة ألف وتاء ، وورد عنه أيضا : جُمَالَاتٌ بضم الجيم "(٢).

وكلا الصيغتين جمع مؤنث سالم ، كما هو واضح من صيغتهما، لكن من النحويين من يرى أن مفردهما " جمالة" المؤنثة ومنهم من يرى أن كلا الصيغتين يعد جمعا لجمع هو " جِمال " و" جِمال " هى الأخرى جمع تكسير لجُمَل ، ومن النحويين مَنْ يرى أن " جِمَالات " يمكن أن تكون جمعا للمفرد ، مثل : رَجُل ورجَالَات قريش ....(٣)" ويضيف الفراء إلى هذا قوله : إن " جِمَالة " تعنى الشئ العظيم المفرد المجموع بعض إلى بعض وأن " جِمَالات " تعنى الشئ العظيم المجمل بعضه إلى بعض... "(٤).

القراءة الثانية :

ب - النفاثات : ورد هذا فى قراءة يعقوب الحضرمى لقوله-سبحانه- : " مِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فى الْعُقَدِ "(٥) إذ ورد أن يعقوب الحضرمى قرأ : من شر النُّفَاثَاتِ بضم النون وتشديدها ، وتخفيف الفاء بعدها (٦) جاء فى القاموس المحيط : النفاثة هى مايلقيه المصدور من فيه "(٧) أى : مايتفله .

وعليه فيمكن عد " النُّفَاثَات جمعا لـ " نُفَاثَة" لكن جاء فى القاموس أيضا أن : النَّفَاثَات : بفتح الأول وتشديده وتشديد الثانى : السَّوَاحر(٨)

١) المرسلات : ٣٣ .
٢) النشر : ٣٩٧/٢ و التبيان للطوس : ٢٣٠/١٠ .
٣) حاشية الجمل على أبى السعود مع كتاب الفتوحات الإلهية : ٤٦٨/٤ ، طبعة دار الفكر .
٤) معانى الفراء : ٢٢٥/٣ .
٥) الفلق : ٤
٦) النشر : ٤٠٤/٢ .
٧) القاموس المحيط : ١٧٤/١ - دار الكتاب العربى .
٨) السابق - لسان العرب مادة : نفث ، دار المعارف .

وبذا يمكن عد قراءة يعقوب دليلا على قراءة الجمهور السابقة ٠

٦ - بعض أبنية المصدر الثلاثى فى قراءة يعقوب :

لقد وردت أبنية متعددة فى قراءة يعقوب ، على أوزان مختلفة للمصدر ، وقبل عرض هذه الأبنية يحسن الإشارة إلى بعض ما فى كتب الصرف والنحو حول هذه الأبنية ، وأوزانها(١) :

ففى الشافية يذكر ابن الحاجب أوزانا كثيرة للمصدر الثلاثى ويعلق عليها الرضى بقوله : وهذه الأوزان التى ذكرها المصنف من أوزان مصادر الثلاثى ، هى الكثيرة الغالبة ، وقد جاء غير ذلك أيضا ...(٢)"

ثم ذكر كثيرا من أوزان مختلفة لأبنية مختلفة ، وهذا النص سيفيد فى الرد على من قالوا عن بعض الأبنية الواردة فى قراءة يعقوب إنها ليست كثيرة ، أو ليست موجودة ، صحيح أن بين هذه الأبنية الكثير من السماعى ، وبينها القليل من القياس ، لكن هذا فى الفعل الثلاثى أكثر منه فى غيره ...

وليس هذا بغريب على الفعل الثلاثى ، فقد عرف أن مصدره غالبا - سماعى " ٠

أما عن هذه الأبنية الواردة فى قراءة يعقوب فقد رتبتها أبجديا فيما يلى :

١ - إثر : ورد هذا البناء الذى على وزان " فعل " فى قراءة يعقوب لقوله -تعالى-: " قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي (٣). فقد ورد أن يعقوب الحضرمى قرأ : إِثْرِي (٤).

---

١) للمزيد من التفصيل حول الحديث عن قياسية المصدر الثلاثى ، وغيره وكيفية استعمال السماع فيه مع صحة القياس وغير هذا من المسائل المهمة راجع : النحو الوافى ٣/١٨١ - ١٩٣ وهامش صفحاتها ٠

٢) الشافية : ٢/١٥١ - ١٥٢ ٠

٣) طـه : رقم ٨٤٠

٤) النشر : ٢/٣٢١ ٠

ويبدو أن هناك خلافا بين أداء يعقوب ، وأداء غيره لكن الحقيقة أنه ليس بين الصيغتين كبير فرق ، فقد قالوا : خرج فى إثره أى : فى أثره "[١].

وواضح أيضا أن صيغة اثرى ، واثرى سماعيتان للفعل أثر ، وأنهما لغتان عند القرطبى [٢] ، وقراءة يعقوب الأفصح عند الزمخشرى[٣].

٢ - دأب : ورد هذا البناء فى قراءة يعقوب لقوله -تعالى-:" كَدَأْبِ آلِ فِرْعَونَ " [٤] ، فقد روى أن يعقوب قرأ : " دأب " على وزن " فعل" بتحريك العين [٥] ، وصيغة " دأب " هى مصدر للفعل الثلاثى دأب ، يدأب دأبا ، والملاحظ على قراءة يعقوب أنها جاءت بمصدر لهذا الفعل لكنه ليس قياسيا له بل هو سماعى فيه [٦] ، قال الزجاج : الدأب : الشأن والأمر كدأب آل فرعون ، أى : كشأن آل فرعون ، وكأمر آل فرعون ، كذا قال أهل اللغة "[٧] وأجازوا أن يكون " دأب " بالتحريك ، أصله ساكن ، قال ابن عطية : والدأب بسكون الهمزة ، وفتحها مصدر : دأب يدأب ، اذا لازم فعل شىء ، وداوم عليه مجتهدا فيه "[٨].

٣ - دحور : وقد وردت هذه الصيغة فى قراءة يعقوب لقوله -تعالى-: ... " دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ "[٩] ، قرأها يعقوب : دَحُورًا ... على وزن فَعُول بفتح الفاء وضم العين [١٠].

---

١) اللسان : دار المعارف - مادة أثر ، والمختار : أثر .
٢) القرطبى : ٢٣٣/١١، والبحر : ٢٦٧/٦ .
٣) الكشاف : ٢٤٨/٢ .
٤) آل عمران : رقم ١١ .
٥) البحر المحيط : ٣٨٩/٢ .
٦) إعراب النحاس : ٣١٣/١ .
٧) لغات القبائل فى القرآن ، لأبى عبيد القاسم بن سلام ، ص ٦٢ .
٨) البحر : ٣٨٩/٢ .
٩) الصافات : ٩
١٠) القرطبى : ٦٥/١٥ .

أمـا الفراء فلا يشتهي ورود المصدر على " فُعُول "، كما في هـذه القراءة ،وقدّر الفراء فيها اسم فاعل ، وقال هي بمعنى : دَاحِر ، أي بِدَاحِر(١)، ويَنْقُل القرطبي عن النحاس : أن الكوفيين يستعملون حذف الباء كثيراً ، هذا على أساس أن تقدير الكلام : بِدَحور وحذفت الباء، ونصب " دَحُور " بفتح الدال(٢)، على قراءة يعقوب .

لكن سيبويه يرى أن المصدر الذى على وزن " فَعُول " ورد عن العرب فى خمس صيغ (٣)، قال سيبويه : هذا باب ماجاء من المصادر على " فَعُول " بفتح الفاء ، وذلك قولك : توضأت وَضُوءًا حَسَنًا ، وسمعنا من يقول : وَقَدت النارَ وَقُودًا وَقَبِله : قَبُولا ، والوُقُود بالضم أكثر ، وبالفتح الحطب(٤)... " وفى الشافية موافقة على ما نقله سيبويه من أن تسمية ماجاء على فَعُول بفتح الفاء مصدراً مقبول(٥)، وإن كان الوارد منه قليلاً إلا أنه مسموع عن العرب (٦).

ويبقى أن الصيغة الأخرى أو الوزن الآخر لهذه الصيغة وهو وزن "فُعُول " بضم الفاء ، هو الأكثر استعمالا من " فَعُول " بفتح الفاء(٧).

---

١) الفخر الرازى : ١٢٣/٢٦ .
٢) القرطبى : ٦٥/١٥ .
٣) ذكروا أن سيبويه سمع ينفسه عن العرب : وضوء، وطهور، وولوع، وقبول ، ووقود" انظر الكتاب لسيبويه : ٢٣٨/٢، وكتاب : أبنية الصرف فى كتاب سيبويه ، د. خديجة الحديثى ، مكتبة النهضة ،بغداد ص ٢٧٠ .
٤) الكتاب : ٢٣٨/٢ .
٥) الشافية : ١٥٩/١ .
٦) وقد زاد أبو حيان عن بعضهم مصدرين آخرين هما : سَبُور، ولَغُوب ،وفى قراءة يعقوب : دَحُور، فيصبح العدد ثمانية وليس سبعاً، البحر : ١٢٩/٨.
٧) ولذلك منع بعضهم صيغة، فَعُول بالفتح مصدرا ، ورأوا أنه صفة لمصدر محذوف . انظر المحتسب : ٦٣/١، ٢٠٠/٢، ٢٠١، ٢١٩، ٣٢٤ .

٤ - روح : ورد هذا المصدر فى قراءة يعقوب لقوله تعالى : " فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ، فَرُوحٌ وَرَيْحَانٌ .. (١) ".

فقد روى أن يعقوب قرأ فى رواية رويس : فروح ، على وزن " فعل "(٢)، وفسر هذا بأنه الرحمة ، والحياة ، وقد وردت هذه الصيغة فى حديث عائشة ، وغيرها عن رسول الله ....(٣) ".

٥ - زهرة : ورد هذا البناء فى قراءة يعقوب لقوله سبحانه : " وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ ، زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .. "(٤).

روى أن يعقوب الحضرمى قرأ : زَهَرَة " بفتح الزاى ، والهاء والراء(٥)، على وزن : فعلة ، وقد وردت تعليقات وآراء كثيرة حول تحريك مثل هذه الهاء بالفتح ، ويمكن حصر هذه الآراء فى اتجاهين :

الأول : ويرى أن تحريك الهاء بالفتح فى : زَهَرَة ، يدل على أن معناها بعد التحريك ، أنها جمع لزاهر ، مثل : كَفَرَة ، جمع كافر ، وقد تبنى هذا الرأى الكسائى ، ونقله الزمخشرى ، وارتضاه ، ولم يمنع غيره(٦).

وليس فى هذا الاتجاه مايدعو لرفضه وبخاصة أن وجود أمثلة له من واقع اللغة يدعو إلى عدم رده ، ويكون التقدير : أذم زَهَرَة الحياة الدنيا ، الذين نعموا بالدنيا وأتلفوا آخرتهم .

الاتجاه الثانى : ويرى أن " زَهَرَة " بالتحريك هى مصدر لفعل محذوف ، تقديره : زَهِرُوا زَهَرَة .. على وزن : فَعَلَة ثم تحركت هذه الهاء فأصبحت زَهَرَة على وزن " فعلة "(٧). وعلى رأس هؤلاء ابن جنى ، وغيره .. إلا أن ابن جنى قد صنع من قضية تحريك عين المصدر أمرا له أهميته فى اللغة ،

١) سورة الواقعة : ٨٩ .
٢) النشر : ٣٨٣/٢، والبحر : ٢١٥/٨ .
٣) المعجم المفهرس / مادة : روح .
٤) طه : ١٣١ .
٥) النشر : ٣٢٢/٢ .
٦) الكشاف : ٩٨/٣ .
٧) القاموس المحيط : ٤٣/٢، الزهرة ، ويحرك النبات ، ونوره وقد زهر ،كفرح وكرم ....

إذ إنه بعد أن ذكر أن البصريين يقبلون تحريك العين على أساس أنه لغة فى المسكن ، ولايقيسونه ، يذكر أن الكوفيين والبغداديين، ويقصد أوائلهم ... يجيزون فيه الفتح ، وإن لم يسمعوه ، أى : يجيزون فتح عين كل ذى عين حلقية مثل : جَهَرَة ، وبَحَرَ ، وصَخَرَ ، ونَهَرَ ، مسبوقة بحرف متحرك بالفتح ، ويقول : ومذهب الكوفيين أنه يحرك الثانى لكونه حرفا حلقيا ، فيجيزون فيه الفتح ، وإن لم يسمعوه ، كالبَحَر ، والصَّخَرَ .. ، وما أرى القول من بعد إلا معهم ، والحق فيه إلا فى أيديهم ، وذلك أننى سمعت عامة عقيل تقول ذلك ..(١)"

ولايمنع من الأخذ بكلام ابن جنى - هنا - والاعتماد عليه أى مانع فإن قيل إن بعض هذه الألفاظ تختلط بجمع التكسير عند تحريكها، فالسياق هو الحكم ، وهو الذى يرجح أيا منها جمع تكسير ، وأيا منها لفظ مفرد محرك الوسط .

٦ - السجن : ورد هذا البناء فى قراءة يعقوب لقوله تعالى: ... " قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ...(٢)

فقد روى ان يعقوب قرأ بفتح السين من لفظ " السجن "(٣) على وزان الفَعْل ، والسَّجْنُ بفتح السين هو مصدر ثلاثى للفعل : سجن ، أما السجن بكسر السين ، فهو المكان الذى يسجن فيه ، وقد ورد أن يعقوب أراد بقراءته هذه أن يفرق بين الاسم والمصدر من هذا الفعل " سَجَنَ "(٤) فالمصدر منه مفتوح الفاء ساكن العين ، والاسم منه مكسور الفاء ساكن العين .

---

١) المحتسب : ١٦٦،٨٤/١ ، والمدارس النحوية : ٢٧١ .
٢) يوسف : ٣٣ .
٣) النشر : ٢٩٤/٢ .
٤) الفراء : ٤٤/٢ . العكبرى : ٥٣/٢، والنشر : ٢٩٤/٢ .

٧ - عـــدو : ورد هذا البناء فى قراءة يعقوب لقوله تعالـــى : " ... فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ (١).. " إذ روى أن يعقوب قـــرأ : عُدُوًّا (٢)... ووزنها : فُعُولًا ، وهذا المصدر - بقراءة يعقوب - قياســـى فى فعله ، وفى كل فعل موافق لشروطه ، فقد نصت القاعدة : أن كل فعـــل ثلاثى إذا كان الماضى منه لازما ، مفتوح العين صحيحها غير دال على إباء ، وامتناع ، ولا على اهتزاز ، وتنقل ، وحركة متقلبة ، ولا على مـــرض ، ولا سير ، أو صوت ، ولا حرفة ، ولا ولاية فإن المصدر منه يأتى على فعـــول ، مثل جلس جلوسا ، وقعد قعودا (٣)، وعدا عـــدوا .

٨ - فصـــل : ورد هذا البناء فى قراءة يعقوب لقوله تعالـــى : " وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ ، وَفِصَالُهُ فِى عَامَيْنِ " (٤)... فقـــد ورد أن يعقوب الحضرمى قرأ : وفَصْله (٥) ومثل هذا ، فى قوله سبحانـــه : " وَحَمْله وفِصَالُهُ ثلاثون شَهْرا ... (٦) "

فقد روى عن يعقوب " فَصْله " على وزن " فَعْل " وقد نصت القاعـــدة أن الفعل الثلاثى إن كان ماضيه متعديًا غير دال على صناعة ، فمصـــدره القياس هو على وزان فَعْل ، نحو : أخذ أخذا ، وحَمِد حَمْدًا ، وفَصَل فَصْـــلا ، وفَطِم فَطْمـــا " (٧).

إلا أن للفعل : " فصل " مصدرا آخر ، هو فِصَال على وزن : فِعَال ، وهـــذه صيغة سماعية من هذا الفعل ؛ لأن شروط المصدر لم تنطبق عليها ، أو جـــاءت

١) الأنعام : ١٠٨ .
٢) النشر : ٢/٢٦٢ .
٣) النحو الوافى : ٣/١٩٥ .
٤) لقمان : ١٤ .
٥) البحر : ٨/٦١، الطبرسى : ٩/٨٤ .
٦) الأحقاف : ١٥، البحر : ٨/٦١، المحتسب : ٢/١٦٧ .
٧) النحو الوافى : ٣/١٩٣ .

على غير القياس المفترض لها ... ويرى ابن جنى أن الفَصْل أعم من الفِصَال (١)، لأنه يستعمل فى الرضاع وغيره ، وأن الفصال مصدر وهو أوقع هنا ، لأنه موضع يختص بالرضاع ... " وقد يجئ المصدر فصال للفعل فاصلته ، وهو بغير هذه المعانى المتقدمة "(٢).

٩ - كُبْره : ورد هذا البناء فى قراءة يعقوب لقوله سبحانه: " وَالَّذِى تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ "(٣) فقد ورد أن يعقوب الحضرمى قرأ كُبْره (٤) على وزن : فُعْله ، وكُبْره : مصدر ، وكذلك " كِبْر" بكسر الفاء - أى : الكاف . قال ابن جنى : وكُبْره بالضم ، عظمه ... قال قيس بن الخطيم :

تَنَامُ عَنْ كُبْرِ شَأْنِهَا فَإِذَا ... قَامَتْ رُوَيْدًا تَكَادُ تَنْغَرِفُ(٥)

ويلاحظ أن المصدر " كُبْر " وكذلك كِبْر ، كلاهما سماعيان . لأنه ورد أن هذين المصدرين لايخضعان لقاعدة أى من مصادر الثلاثى ، كما سيظهر بعد، ويصف الفراء قراءة يعقوب بالضم بأنها : ... وجه جيد فى النحو ..."(٦).

١٠ - مدخل : ورد هذا البناء فى قراءة يعقوب لقوله سبحانه : " لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً (٧)... "

روى أن يعقوب قرأ بفتح الميم لتصبح : مَدْخَلا ، على وزن مَفْعَل(٨).... ولم يخالف يعقوب أصله فى مثيلاتها . وقد يصح فى تخريج هذا البناء الوارد فى قراءة يعقوب القول بأنه مصدر للفعل دَخَل يَدْخُل دُخُولا ، ومَدْخلا(٩) كما

---

١) المحتسب : ١٦٧/٢ .
٢) السابق .
٣) النور : ١١ .
٤) النشر : ٣٣١/٢، ومختصر البديع لابن خالويه ص ١٠١ .
٥) المحتسب : ١٠٤/٢ .
٦) الفراء : ٢٤٧/٢ .
٧) التوبة : ٥٧ .
٨) النشر : ٥٧٩/٢ .
٩) الشافية : ١٥١/١ - ١٥٢ .

ذكرت كتب اللغة ، ويصح فيه كونه اسم مكان [١]... وهذا يعنى أن "مدخلا" كمصدر ليست قياسية فى فعلها، وإنما سماعية له، والقياس : دُخُولا .

١١ - النَّصَب : ورد هذا فى قوله سبحانه : ..." إِنِّى مَسَّنِىَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ " [٢].

فقد روى أن يعقوب قرأ : بنَصَب على وزن : فَعَل [٣].

ونصب مصدر قياس من الفعل : نصب بمعنى تعب ، لأن الفعل الماضى إذا كان ثلاثيا لازما ، مكسورالعين غير دال على لون أو معالجة ، أو على معنى ثابت فمصدره القياس : فعل ، نحو تعب ، تعبا ، وجزع جزعا [٤]، وتنطبق هذه القاعدة على الفعل " نصب " ومصدره الوارد فى قراءة يعقوب ، إلا أن هذا لاينفى الصيغة السماعية الأخرى وهى صيغة " نُصُب " التى على وزن فُعُل .

ولاينفى هذا أيضا احتمال كون قراءة يعقوب جاءت على سبيل تأكيد الصيغة القياسية لهذا الفعل ولاينفى هذا أيضا كون قراءة يعقوب دليلا على قراءة أو صحة قراءة من قرأ عنه بفتح النون ، وسكون الصاد وبذلك تكون قراءة يعقوب وردت بتحريك الساكن ، حتى ولو لم يكن حرفا حلقيا ، اتباعا بمن يبيحه فى الحلقى ، وفى غيره [٥]" .

١٢ - وِجْد : ورد هذا البناء فى قراءة يعقوب لقوله سبحانه : .... أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ " [٦].

فقد روى أن يعقوب قرأ : وِجْدكم ، بكسر الواو وسكون الجيم على وزان : فعل [٧]، وهى مصدر للفعل : وَجَدَ ، جاء فى التهذيب : ويقال :

---

١) اللسان : مادة : دخل طبعة دار المعارف ، والعكبرى : ١٦/٢ .
٢) سورة ص : ٤١ .
٣) النشر : ٣٦١/٢ .
٤) النحو الوافى : ١٩٤/٣ .
٥) دراسات لأسلوب القرآن : ٦٤٥/٢/٢ .
٦) الطلاق : ٦ .
٧) النشر : ٣٨٨/٢ .

وَجَدت فى المال وَجْدا ، ووُجْدا ، ووِجْدا ، ووَجَدانا ، وجِدَةً ، أى : صـــرت ذا مال ، والوِجْد ، والوَجْد ، والوُجْد : اليسار (١)"

١٣ - تَقِيَّة : ورد هذا المصدر فى قراءة يعقوب لقوله سبحانــه : " إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تَقِيَّةً "(٢) فقد قرأها يعقوب : تَقِيَّة ، علــى وزن "قَضِيَّة "(٣)، ووزنها " فعيلة " إلا أن أبا حيان ينص على " ندرة" إتيــان المصدر من " افتعل " على وزن " فعيلة " و يكفى فى عدم موافقتنا لــه أن نرد عليه بقول الرضى السابق : وأوزان المصادر التى ذكرها المصنف هى الكثيرة الغالبة ، وقد جاء غير ذلك أيضا(٤)... ثم أخذ الرضى فــى سرد أمثلة للمصدر على غير ما ذكر المصنف ، وأضاف إلى ذلك المصـدر الذى على وزن "فعيلة"(٥)، وذكر لهذا أمثلة كثيرة، وسنوضح هذه النقطة بعـد "(٦).

٧ - اشتقاق اسم الفاعـل :

أ - ويمثل اسم الفاعل الثلاثى فى قراءة يعقوب فعلان هما :

١ - نفث ٢ - لات

أما الفعل الأول فقد ورد اسم الفاعل منه فى قراءة يعقوب لقولـه تعالى : "مِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فى العُقَدِ (٧)... "

١) اللسان : دار المعارف ، مادة : و ، ج ، د .
وانظر : الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب لابن السيد البطليوس ، دار الجيل لبنان ، ص ١٧٧ .
٢) آل عمران ، ٨٢ .
٣) النشر : ٢/٢٤٠ .
٤) الشافية : ١/١٥١ - ١٥٢
٥) السابق .
٦) انظر : مبحث الإعلال فى " تقية " .
٨) الفلق : ٤ .

إذ روى ابن الجزرى عن يعقوب من رواية رويس فى أكثر الطرق عنـــه ، أنه قرأ : "النّافِثَات" وهى اسم فاعل من الفعل " نفث "(١).

والنّافِثَات : تكون للدفعة الواحدة من الفعل ، ولتكراره أيضــا ، والنَّفّاثات يجوز أن يكون مقصورا من النافثات "(٢).

أما الفعل الثانى فقد ورد اسم الفاعل منه فى قراءة يعقــوب لقوله - سبحانه - : ... " أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى "(٣)... " فقد قرأ يعقوب : الــلاتّ ، بتشديد التاء ، كذا قال أبو حيان ، ورواها ابن الجزرى لرويس..(٤)

وعن قراءة يعقوب قال صاحب دراسات لأسلوب القرآن : إن "اللات" اســم فاعل ؛ لأن تاءها مشددة مع مد الألف ، لالتقاء الساكنين(٥).

ويمكن تفسير هذا الكلام على مايأتــى :

أن " اللات " بتشديد التاء هو من الفعل " لتّ " ، كما فى " لســان العرب "(٦)وهى تلتقى فى معناها بما تتضمنه الآيـة ، واسم الفاعل مـــن "لتّ " هو " لاتّ " .

يؤيد هذا قول الأخفش : وقال بعضهم : اللاتّ جعله من "اللاتّ" الــذى يلتّ (٧).

وأن قراءة يعقوب بتشديد التاء فى " اللات " فيها دليل على قــراءة التخفيف ، أى أن التشديد هنا هو الأصل ، ذلك إذا أخذنا بقولهــــم إن قراءة التخفيف والتشديد من مادة واحدة هى " لتّ " وفى هذا يقول الفــراء

---

١) النشر : ٢/٤٠٤ .
٢) البحر المحيط : ٥٣١/٨، إتحاف فضلاء البشر : ٤٤٥ .
٣) النجم : ١٩ .
٤) البحر : ١٦٠/٨، والنشر : ٣٧٩/٢ .
٥) دراسات لأسلوب القرآن : ٢٢٣/١/٣ .
٦) اللسان : مادة : لت ، ل ، ت ، ت .
٧) معانى القرآن للأخفش : ١٨٧/٢ .

وقراءة "اللاْت" بتخفيف " التاء" أصلها "اللاّت" بالتشديد ؛ لأن الصنم إنما سمى باسم " اللات " الذى كان - عند هذه الأصنام- يلتّ السويق ، أى : يخلِطُه ، فخفف ، وجعل اسما للصنم (١).

وهذا القول يؤيد أن التاء فى قراءة التشديد ليست زائدة للتأنيث ، وإنما هى أصلية - لام الكلمة ، خلافا للكسائى (٢).

على أن هذا التفسير الأول ، قد اتجه بمادة " اللات " اتجاها غير فى أصولها ، وجعلها ليست من " لَيَت" أو " لَوَت " وإنما هى من " لَتّ " بمعنى خَلَط ، كما سبق ، وهذا تفسير يخدم المعنى ، ويخدم صحة صياغة اسم الفاعل من الفعل الثلاثى " لت " بدلا من القول بأنها من " لَيَت " أو " لَوَت " لأن كلا من هذين الفعلين يصاغ منهما اسم الفاعل هو " لائت" وبين معنى " لات" ومعنى " لت " فرق ، إذ إن معنى الأول : نَقَصه حقه ، والثانى : خلط .

ب - ويمثل اسم الفاعل من غير الثلاثى فى قراءة يعقوب فعلان هما :

١ - أعذر ٢ - استقر

أما الفعل الأول فقد ورد فى قراءة يعقوب لقوله سبحانه : " وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ ... "(٣) فقد روى أن يعقوب قرأ : وجاء "المعذرون " من الفعل "أعذر" (٤) اسم فاعل من فعل رباعى وسأعود للحديث فى هذا الفعل بعد قليل .

أما الفعل الثانى - استقر - فقد ورد فى قراءة يعقوب لقوله سبحانه : "وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ... (٥)" إذ روى أن يعقوب الحضرمى قرأ :

---

١) البحر المحيط : ١٦٠/٨ .
٢) السابق ، ولم ينقل أبو حيان فى تفسيره لهذه الآية إلا أصلا واحدا هو "لات" لكل القراء ، كأنه لم يعرف الأصل الثانى وهو : لت ، راجع : اللسان : مادة : لت ، ل،و، ت ؛و: ل ، ى، ت ، دار المعارف .
٣) التوبة : ٩٠ .
٤) النشر : ٢٨٠/٢ .
٥) يس : ٣٩ .

لِمُسْتَقِر ، بكسر القاف (١). وبذا تصبح الصيغة بقراءة يعقوب اسم فاعل من الفعل السداسى ،"استقر" مستقر .

٨ - تعاور معانى بعض المشتقات :

وذلك بين صيغة "افتعل" اللازمة ، وبين " أفعل " المتعدية ، وردت هذه الظاهرة فى قراءة يعقوب السالفة لقوله سبحانه : "وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ"...(٢) "فقد قرأ يعقوب " المعذرون "(٣)، من أعذر وقيل فى معنى " أعذرك " ومعذرك ، من بالغ فى العذر فبلغ أقصاه ...(٤)

قال النحاس : إلا أن مدار هذه القراءة على ماروى الكلبى ، وهى من " أعذر " ، ومنه قولهم : قد أعذر من أنذر ، أى : قد بالغ فى العذر من تقدم إليك فأنذرك "(٥) وقد روى هذه القراءة الفراء عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس ، ثم قال الفراء : و"المعذر" قد يكون بمعنى "المعتذر " وكذلك العكس ، وقد سوى لبيد بينهما ، فقال :

وَقُومَا فَقُولاَ بِالَّذِى قَدْ عَلِمْتُمَا ... وَلاَ تَخْمِشَا وَجْهًا وَلاَ تَحْلِقَا الشَّعَرَ
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما .. ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر(٦)

٩ - النسب فى قراءة يعقوب الحضرمى :

ورد هذا فى قراءة يعقوب لقوله تعالى : ... "الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ".... (٧).

---

١) مجمع الطبرسى: ٤٢٣/٨ .
٢) التوبة : ٩٠ .
٣) النشر : ٢٨٠/٢ .
٤) الفراء : ٤٤٧/١ .
٥) القرطبى : ٤٠٦٣/٥ .
٦) الفراء : ٤٤٧/١ .
٧) الأعراف : ١٥٧ .

إذ روى أن يعقوب الحضرمى قرأ : النبى الأَمى بفتح الهمزة [١].

وواضح أن قراءة الجمهور تفيد أن النسب فيها إلى " الأُمّة" أى : الذين لم يقرؤا ولم يكتبوا " .

لكن قراءة يعقوب الحضرمى ليست هكذا ، وبالمقارنة بين المنسوب إليه فى قراءة الجمهور والمنسوب إليه فى قراءة يعقوب يتضح أن قراءة يعقوب على هذا ، قد جاءت على غير قياس فى النسب أو جاءت على أساس أنها من " باب تغيير النسب " مشابها لقولهم فى " أُمَوى بالضم ، أَمَوى بالفتح ، وهذه الثانية يحكم عليها أنها من باب تغيير النسب . غير أن أبا حيان يعرض تفسيرا آخر لقراءة يعقوب التى نحن بصددها ، وهو تفسير فيه إيضاح وجدية ، ولذا يمكن الاطمئنان إليه .

يقول أبو حيان - عندما تحدث فى هذه الآية السابقة - : ... أو خَرّج على أنه نسب إلى المصدر من - أم - بمعنى قَصَد ، أى : أماً ، ومعناه : المقصود ، أى : لأن هذا النبى مقصد للناس ، وموضع أم"[٢] وهذا تفسير يبعدنا عن القول بأن قراءة يعقوب الحضرمى جاءت بصيغة ليست قياسية فى باب النسب .

- الإعلال والإبدال :

جاءت قراءة يعقوب بالإعلال فى آيتين تأتى مناقشتهما على النحو التالى :

أ - فى قوله سبحانه : " لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ .... إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ "[٣]. قرأ

---

١) البحر المحيط : ٤٠٣/٤ .

٢) البحر المحيط : ٤٠٣/٤ .

٣) آل عمران : ٢٨ .

يعقوب الحضرمي : تَقِيَّة ، على وزن قَضِيَّة (١).

بداية يجدر ذكر أن البحث ذكر في باب " المفعول المطلق " أن "تَقِيَّة " منصوب على أنها مصدر ، مفعول مطلق .

هذا من الناحية النحوية، أما من الناحية الصرفية فإن قراءة يعقوب الحضرمي " تقية " فيها دليل على أن لفظة " تقاة " في قراءة الجماعة ، مصدر ، وليست جمعا، أو أنها أقرب للمصدرية من الجمع ، ورد هذا عن ابن منظور ونقله عن الفارسي ..."(٢).

غير أن هناك من يمدح قراءة " تقاة " على حساب قراءة "تَقِيَّة "(٣) بحجج ليست موضوعية ، وليس له فيها دليل لغوي علمي ، فمن هذه الحجج قولهم : إن قراءة " تقاة " ورد بها القرآن وكأنهم نسوا أن قراءة " تُقَاة " وقراءة " تَقِيَّة " كل منهما ورد به القرآن(٤)، ولذلك كان ينبغي القول بأن القرآن جاء بهاتين القراءتين ، وأن كلا منهما قرآن . أما كيفية تحول " تُقَاة " إلى " تَقِيَّة "(٥)، فهذا يمكن عرضه على النحو التالي :

- كان أصل : تَقِيَّة ، وَقُوِيَة ، بواوين ، بفتح الواو الأولى ،وضم القاف بعدها ، وسكون الواو الثانية ، وفتح الياء بعدها، وتاء التأنيث .

١) النشر : ٢/٢٤٠ .
٢) لسان العرب : و ق ى ، دار المعارف .
٣) معاني الفراء : ١/٢٠٥، ومعاني الاخفش : ١/٨ .
٤) لسان العرب : وقى ، ٤٩٠١/٨ ، دار المعارف .
٥) مما يذكر هنا ان " تقية " مأخوذة من " اتقى" الذى على وزن " افتعل" وقاعدة" افتعال" ومثيلاتها أنه يجب قلب كل واو أو ياء إلى تاء، إذا وقعتْ أيٌّ منهما فاء افتعال ، ولم تكن مبدلة من همزة، فلفظة "تقى" هي أصلا من " وقى " ثم صيغ منها كلمة على وزن " افتعل" فأصبحت "اوتقى" ثم قلبت الواو تاء وأدغمت في التاء فأصبحت " اتّقى" ومصدرها تقية، وتقاة .

- قلبت أو أبدلت الواو الأولى ، "تاء" فأصبحت "تُقْوَيَة "(١).
- قلبت الواو الثانية " ياء" لسكونها وتحرك الياء بعدها .
- أدغمت الياءان ، فأصبحت " تُقْيَة" بضم القاف .
- كسرت القاف لمناسبة الياء بعدها، فصارت : تُقِيَّة .

لكن ينبغى الإشارة إلى أمرين هامين :

أولهما : أن الواو فى : " وَقَى " هى الأصل وليست التاء ، فهناك مادة أخرى لها هى " تَقِى " ، قال الجوهرى : اتَّقى ، يَتَّقى ، كان فى الأصل اوْتَقَى ، على افتعل، فقلبت الواو ياء ، لانكسار ماقبلها، وأبدلت منها التاء ، وأدغمت ، فلما كثُر استعمالُه على لفظ الافتعال ، توهموا أن التاء من نفس الحرف فجعلوه اتَّقى ، يَتَّقى ، بفتح التاء "(٢).

لذا فقد عمد بعض أصحاب المعاجم إلى وضع هذه المادة، مادة " وَقَى" فى باب " التاء " رغم أنها من باب الواو ، غير أن المحققين منهم قد وضعوها فى باب " الواو " (٣).

والآخر : أنه ليس صحيحا ، ماردده أبو حيان من أن المصدر الذى على وزن : فَعِيْلة " قليل ، نحو " التَّمِيمَة" (٤) ، وكونه من افْتَعل : " نادر" بل إن الصحيح أن اللغة وردت بهذا القليل كثيرا ، وبهذا النادر شيئا ليس قليلا ... والدليل على هذا ماأثبته ابن جنى فى كتابه " سر صناعة الإعراب " ففيه مصادر على وزن فعيلة تؤيد مانقوله ، غير أن ابن جنى كان دقيقا ، إذ إنه ذكر أن انقلاب الواو تاء ليس أمرا غير منضبط بضوابط

---

١) ويفسر ابن جنى سبب قلب الواو "تاء" دون غيرها من حروف المعجم ، فيقول : لأنهم لو لم يقلبوها "تاء" لوجب أن يقلبوها إذا انكسر ماقبلها "ياء" فيقولون: مثلا : ايتقى، وإذا ضموا قالوا : موتق ، وموتعد" وإذا انفتح ماقبلها قلبت ألفا ، فمرة ياء ، ومرة واو، ومرة الف ... فأرادوا أن يقلبوها حرفا جلدا تتغير أحوال ماقبله وهو باق" انظر : سر صناعة الإعراب : ١٦٣،١٦٢،١٦١/١ ، وكذلك : المنصف ٢٢٥/١ ، ومابعدها.
٢) اللسان : ٤٩٠٢/٨ مادة و.ق .ى . دار المعارف .
٣) السابق .
٤) البحر المحيط : ٤٢٤/٢ .

صحيحة ، بل فيه ضابط مهم ، ألا وهو : كون هذه الواو واقعة فاء "افتعال" ومثل لهذا بـ " اوْتَزَن " فهذه تُقلب إلى " اتّزن " ولاتقلب فى " آوعد" لتصبح " أتّعد " ، لعدم تحقق الشرط (١).

أما عن وزن لفظ " تَقِيّ " فإنه يصح فيها : "فَعُول" و" فَعِيل"(٢).

ب - وفى قوله سبحانه : هذا صراط على مستقيم ..(٣)"

جاءت قراءة يعقوب بإعلال فى لفظة "على" إذ ورد أن يعقوب الحضرمى قرأ : "هَذَا صِرَاطٌ عَلِيٌّ مُسْتَقِيمٌ "(٤)فتصبح لفظة " على " صفة ، لـ " صراط " ومستقيم صفة ثانية أو أنه صراط عالٍ وعظيم ..

ولقد عرضت هذه الآية فى باب النعت .

إلا أنه يمكن تقسيم الإعلال الذى فى لفظة " على " بقراءة يعقوب على النحو التالى :

١ - مادتها الأولى : عَلَوَ على وزن :فَعَلَ .

٢ - إذا صيغ منها " فَعِيْل " أصبحت : عَلِيْوٌ

٣ - تقلب الواو " ياء " لاجتماعها مع الياء وسكونها .

٤ - تدغم الياءان فى بعضهما ، فتصبح " عَلِيٌّ " ووزنها "فَعِيْل" .

---

١) المنصف : شرح كتاب التصريف ، ٢٢٥/١، ومابعدها ، وانظر أيضا : سر صناعة الإعراب ، ١٦٣،١٦٢،١٦١/١ ولم يذكر ابن جنى الشرط الثانى وهو : ألا تكون هذه الواو مبدلة من همزة ... النحو الوافى : ٧٩١/٤ ولذلك فان ابن جنى لم يذكر حكم هذا الإبدال أواجب أم جائز ؟ بل قال فقط : انه إبدال صالح "..

٢) لسان العرب : ٤٩٠٣/٨ ، و. ق ى ، دار المعارف .

٣) الحجر : ٤١ .

٤) النشر : ٣٠١/٢ .